الدليل إلى القرآن

سؤال وجواب

عمرو الشرقاوي



﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ الْقُرْءَانَ ۖ﴾

الدليل إلى القرآن

(في سؤال وجواب)

عمرو الشرقاوي



المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب، هدىٰ وذكرىٰ لأولي الألباب، وأودعه من العجائب العجب العجاب، وجعله حاليًا بالأحرف السبعة وكمال الشرعة وفصل الخطاب، والصلاة والسلام علىٰ النبي الأواب، وعلىٰ الآل والأصحاب، صلاة تدوم إلىٰ يوم الحساب، ويكون لنا بها عند الله زلفىٰ وحسن مآب، وبعد:

فإن ثمار التجهيل التي تمارس علىٰ الأمة الإسلامية آتت أكلها، وأينعت ثمارها، وقد نال أعظم كتاب في الكون، وأشرف دستور للعالمين (القرآن الكريم) نصيبه من هذا التجهيل.

فصرنا نرىٰ ونسمع من لا يعرف عن القرآن إلا اسمه، وعن المصحف إلا رسمه، لا يعرف شيئًا مما يتعلق بهذا الكتاب المجيد إلا معلومة شاردة، أو معرفة ناقصة.

وفي وسط هذا الظلام ظل أهل الحق وطلابه يسألون، وللمعرفة عن القرآن يتعطشون؛ ولأجل هؤلاء جاء هذا الكتاب.

حاولت عبر هذا الكتاب أن أشارك في تقريب القارئ من المشروع الحقيقي للأمة، مشروع (تلاوة القرآن)، تتميمًا لمقصد البعثة المحمدية ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْءَانَ﴾.

«وحقيقةُ التلاوةِ هي التلاوةُ المطلقةُ التَّامَّةُ، وهي تلاوةُ اللفظِ والمعنىٰ؛ فتلاوةُ اللفظِ جزءُ مُسمىٰ التلاوةِ المُطلقةِ، وحقيقةُ اللفظِ إنما هي الاتباعُ، يقال: اتلُ أثر فلانٍ، وتلوتُ أثرهُ، وقفوتُهُ وقصصتُهُ، بمعنىٰ تَبعتُهُ، ومنه قولُه تعالىٰ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ [الشمس ١: ٢]، **أي: تَبعَها في طلوع بعد**

غَيبتها، ويُقال: جاءَ القومُ يتلو بعضهم بعضًا، أي: يتبع، ويُسمَّىٰ تالي الكلام تاليًا، لأنَّهُ يُتبِعُ بعضَ الحروف بعضًا، لا يُخرجُها جُملةً واحدةً، بل يُتبِعُ بعضها بعضًا مُرتبةً، كُلَّما انقضىٰ حرفٌ أو كلمةٌ أتبعهُ بحرفٍ آخرَ وكلمةٍ أُخرىٰ، وهذه التّلاوةُ وسيلةٌ وطريقٌ.

والمقصودُ التِّلاوةُ الحقيقيةُ، وهي تلاوَةُ المعنىٰ واتِّباعُهُ؛ تصديقًا بخبرِهِ وائتمارًا بأمرِهِ، وانتهاءً عن نهيِهِ، وائتمامًا به، حيثُما قادكَ انقدتَ معه، فتلاوةُ القُرآنِ تتناولُ تلاوةَ لفظِهِ ومعناهُ، وتلاوةُ المعنىٰ أشرفُ من مجرَّد تلاوةِ اللفظِ، وأهلُها هم أهلُ القرآن الذين لهم الثناءُ في الدنيا والآخرة، فإنهم أهلُ تلاوةٍ ومتابعةٍ حقًّا» [مفتاح دار السعادة: (١/ ٢٠٢)].

جاء هذا الكتاب ليرفع عنا قشرة الجهل بأعظم كتاب، لكي يكون هاديًا مع الهداة للدلالة علىٰ الكتاب المجيد.

وقد جعلته في سؤال وجواب، اتباعًا لسنة جبريل عليه السلام، في سؤاله النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، وإثارة للذهن، ودفعًا للسآمة والملل، وجاء مختصرًا موجزًا في عبارته، وتوخيت -قدر وسعي- أن تكون عبارته ميسرة ليصلح لعموم القراء.

ولولا أن عنوان «الطريق إلىٰ القرآن» قد سبق به الحبيب الأستاذ إبراهيم السكران، وجعله عنوان كتابه، وهو من أجمل الكتب التي تحدثت عن القرآن لجعلته عنوان كتابي، والذي أرجو أن يسهم في تقريب كثير من المفاهيم التي ينبغي معرفتها عن كتاب الله إلىٰ عموم الناس، كافرهم ومؤمنهم، كبيرهم وصغيرهم، ذكرهم وأنثاهم.

ولذا سميته: «الدليل إلىٰ القرآن»[1].

وقد قسمته إلىٰ ثمانية أقسام، وفي كل قسم عددٌ من الأسئلة، والأقسام هي:

أولًا: القرآن: مصدريته وتاريخه.

---

(١) يقال: دل علىٰ الشيء، ودل إليه، وعليه: فلا بأس من استخدام حرف الجر (إلىٰ) مع الفعل (دل)، إما علىٰ الجواز الأصلي، وإما علىٰ تضمينه معنىٰ (هدىٰ)، انظر: المصباح المنير: (١/ ١٩٩)، ومعجم الصواب اللغوي: (١/ ٣٦٧).

ثانيًا: علوم القرآن.

ثالثًا: إعجاز القرآن.

رابعًا: التفسير والتدبر والتأثر.

خامسًا: حفظ القرآن وتجويده.

سادسًا: أحكام فقهية تتعلق بالقرآن المجيد.

سابعًا: كتب الدراسات القرآنية.

ثامنًا: أفياء، منشورات قرآنية.

وقد انتفعت بتوجيهات من تفضل بقراءة الكتاب قبل طباعته، وهم عدد من أهل العلم والفضل استفدت كثيرًا من توجيهاتهم في تقويم الكتاب، وتصحيح ما وقع فيه، فلهم جميعًا أهدي ثمرة مجهودهم، وشكر الله لهم، وجزاهم خيرًا، وجعلنا وإياهم من المشتركين في الأجر، ومن المتنعمين بنور الكتاب.

وأسأل الله أن يقربنا من كتابه، وأن يجعله ربيع قلوبنا، وأن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعله محققًا للرغبة التي بعثتني علىٰ كتابته، وأن يجد قارئُه ما يمكن أن يكون قد مر علىٰ خاطره، وسأل عنه حول القرآن وما يتعلق به، وإني لأرجو ممن قرأه ألا يبخل علي بنصح إن رآه، فإن النصيحة من الدين، وإني لها -إن شاء الله- لممتثل، وأرجو من أهل العلم أن يسامحوا ما وقع فيه من خلل، فإنه لغيرهم، ومثل هذا يعفىٰ عنه إن شاء الله، وإني بنصحهم مسترشد، والحمد لله رب العالمين[1].

✍ **عمرو الشرقاوي**

amr.alsharqawi@gmail.com

(١) لم أثبت شيئًا من مراجع الكتاب، لطبيعته، وأهم مراجع الكتاب التي رجعت لها:

١- المقدمات الأساسية في علوم القرآن، د. الجديع، دار الريان.

٢- مدخل إلىٰ التعريف بالمصحف الشريف، د. حازم حيدر، معهد الشاطبي.

٣- المحرر في علوم القرآن، د. مساعد الطيار، معهد الشاطبي.

٤- محاضرات في علوم القرآن، د. غانم قدوري، دار عمار.

٥- مناهل العرفان، للزرقاني، إحياء الكتب العربية.

أولًا: القرآن: مصدريته وتاريخه

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]

ما القرآن؟

لعل من أنسب ما نتعرف به علىٰ القرآن هو القرآن نفسه، والذي أعلن أنه كلام الله، وأخبر أن الله أنزله، بواسطة أمين الوحي جبريل، علىٰ قلب محمد ﷺ، بلسان عربي مبين، واضح لا لبس فيه، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

وكان وقت ابتداء نزوله ليلة القدر من شهر رمضان، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]

ولم ينزل القرآن في وقت واحد، وإنما نزل مفرقًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٥، ١٠٦]، وقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

وقد شدد القرآن علىٰ كونه ليس من كلام البشر، بل هو كلام خالق البشر، ورد علىٰ الشبهات التي تزعم أنه من قول البشر، فالقرآن كلام الله، لا تدخل لأحد من البشر فيه، حتىٰ ولو كان هذا التدخل من قبل محمد ﷺ، يقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ

﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٤٠-٥٢]

وأخبر القرآن عن حال النبي ﷺ حين يتنزل عليه القرآن، فقال تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٩]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]، قال: «كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة كان يحرك شفتيه»، فقال ابن عباس: «أنا أحركهما كما كان رسول الله ﷺ يحركهما» فقال سعيد: «أنا أحركهما كما كان ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه» فأنزل الله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧]؛ قال: جمعه في صدرك ثم تقرؤه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨]؛ قال: فاستمع وأنصت ثم إن علينا أن تقرأه، قال: «فكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما أقرأه» [البخاري: (٥)، ومسلم: (٤٤٨)، واللفظ له].

وقد حصرت دعوة النبي ﷺ في تلاوة الكتاب، يقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍۢ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩١، ٩٢].

وقد جعلت تلاوة الكتاب تجارةً رابحة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

وهذا القرآن لا ريب فيه، فالشك لا يتطرق إليه بأي وجه من الوجوه، فلا ريب في أخباره، ولا ريب في أحكامه، فأخباره الصدق، وأحكامه العدل، قال الله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢].

والقرآن هو النور الذي أنزله الله ليخرج الناس من الظلمات بإذن ربهم إلىٰ صراط مستقيم، قال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

والقرآن هو الموعظة، والشفاء، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨]، ومن تمسك بهذا القرآن فإنه المبصر حقًا، لأن القرآن بصائر، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤]، وقال: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، فإن للقلب بصيرة هي نوره لا يصل إليها المرء إلا بالقرآن، وإلا فالعمىٰ لازم له، **وبقدر الإقبال علىٰ الكتاب يكون الأخذ من نوره، والتبصر ببصائره**، وكما أن العين لا تبصر إلا بنور قدامها، فكذلك القلب لا يبصر إلا بنور القرآن!

وأخبر القرآن عن حال أهل الإيمان حين تلاوته، فقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

القرآن هو: الفرقان، والكتاب، والذكر، والتنزيل، والقرآن: حق وصدق، وعزيز، وعظيم، وعلي، ومجيد، وقبل ذلك: إنه وحي!

والقرآن: رحمة، وشفاء، وكريم، ومبارك، ونور.

إنه النبأ العظيم!

وأدعوك في ختام هذا الجواب، أن تختم القرآن -ولو ختمة واحدة- لتتعرف عليه حق التعرف.

ما الحجج الدالة على أن القرآن كلام الله؟

يعبر عن هذه المسألة بتعبير آخر وهو: «مصدرية القرآن»، وقد أخبر القرآن عن مصدره، كما سبق في السؤال الماضي، لكننا سننطلق في الإجابة عن هذا السؤال، بذكر الحجج التي نصل بها للإيمان بأن الله -تعالىٰ- هو مصدر هذا الكتاب المجيد.

وقد لخصنا هذه الحجج من كتاب ممتع للعلامة د.محمد دراز بعنوان: «النبأ العظيم».

الحجة الأولىٰ: الإقرار

لقد أقر النبي ﷺ علىٰ نفسه أن القرآن الذي جاء به ليس من كلامه، وإنما هو وحي من ربه إليه.

وحجية هذا الإقرار: أن القرآن حج العرب، وعجزوا أمامه، فالمصلحة تقتضي أن ينسب محمد القرآن له، لتروج زعامته، ويعلو قدره عند هؤلاء القوم، ولم يفعل، وحاشاه أن يفعل!

فإن قال قائل: إنه لم يفعل ذلك إلا ليستجلب مزيدًا من الأتباع بنسبة هذا الكلام للرب، ويستدعي لنفسه طاعة وسلطانًا، فنقول: هذا الكلام فاسد من جهة ذاته، ومن جهة أساسه؛

١- فأما فساده من جهة ذاته؛ فلأن صاحب هذا القرآن قد صدر عنه الكلام الذي نسبه لنفسه، والكلام الذي نسبه لربه، وأوجب القرآن علىٰ الناس طاعة

محمد ﷺ، وجعل طاعته من طاعة الله -تعالىٰ-، فهلا جعل كل أقواله من كلام الله كما يقول هذا القائل!

٢- وأما فساده من جهة أساسه؛ لأنه مبني علىٰ افتراض باطل، هو أن يكون محمد ﷺ قد سوغ لنفسه أن يصل إلىٰ مقصده، ولو بالكذب والتمويه، وهذا باطل؛ لأن سيرة محمد ﷺ، وأحواله تأبىٰ ذلك.

فإن صفاته وشمائله قبل النبوة وبعدها تأبىٰ أن يكون كاذبًا، فقد كان أعداؤه قبل أصحابه يشهدون له بالصدق، والأمانة، ولم يقل أحد منهم قط: إنه كاذب.

الحجة الثانية: أمية النبي ﷺ.

لم يكن النبي ﷺ ممن يرجع بنفسه لكتب العلم، ودواوينه، ومن المتفق عليه؛ أنه ﷺ لم يكن يمارس القراءة والكتابة قبل بعثه.

ولا يمكن أن يكون القرآن من استنباط النبي بالذكاء الفطري الذي كان يتمتع به، لأن القرآن قد احتوىٰ علىٰ ما لا يمكن أن يستنبط بالعقل ولا بالتفكير، وفيه أيضًا ما لا يدرك بالوجدان ولا بالشعور؛ كالوقائع التاريخية، والحقائق الدينية الغيبية -والتي جاءت في القرآن بصورة مفصلة- والإخبار بالأمور المستقبلية، والتي وقعت كما أخبر.

الحجة الثالثة: عدم أخذ القرآن عن معلم.

لا يمكن أن يكون القرآن قد أخذ عن معلم، لأن قوم النبي ﷺ كانوا من الجهل بحيث لا يمكن أن يكون أحدهم معلمًا لمحمد، ولو فرضنا أن فيهم من يصلح لذلك، فلِم لم يأخذوا عنه كما أخذ محمد بدلًا من مقارعته بالسيوف؟!

ومن المستحيل أن يكون القرآن قد أخذ عن اليهود والنصارىٰ، ولينظر قائل تلك المقالة إلىٰ حديث القرآن عن أهل الكتاب، وذكره لهم، وكيف يصور القرآن علومهم بأنها الجهالات، وعقائدهم بأنها الخرافات، وأعمالهم بأنها الجرائم والمنكرات.

وفي القرآن ما لا يوجد في كتب أهل الكتاب، كقصة هود وشعيب عليهما السلام، فمن أين أتىٰ بها؟!

ولا يمكن أن يكون القرآن قد أُخذ عن شعر بعض العرب، كأمية بن أبي الصلت وغيره، لأن القرآن نفىٰ أن يكون شعرًا، ولأن في الشعر ما لا يوجد في القرآن، كوصف الخمر، ونحوها، ولأن العرب لم يدع أحد منهم أن القرآن مسروق أو منحول من الشعر الموجود في ذلك العصر أيًا كان قائله.

الحجة الرابعة: التحدي وعجز العرب.

لقد تحدىٰ القرآن العرب، وكرر التحدي عليهم أن يأتوا بمثل القرآن، وظل يتدرج بهم إلىٰ أن وصل أن يأتوا بسور من مثل القرآن، فعجزوا.

فإن كان القرآن من كلام محمد، فلم عجزت العرب عنه؟!

إن أحدًا منهم لم يستطع أن يجاريه، ولا أن يطعن في عربيته، ولذا: **فإن أي طعن يوجه للقرآن من جهة عربيته من طاعن متأخر عن أبي جهل، وأبي لهب وأضرابهم، فاعلم أنه باطل في ذاته؛ إذ لو كان صحيحًا لما غفل عنه هؤلاء الأعداء، وهم أبصر الناس باللغة، وأحرصهم علىٰ الطعن في القرآن.**

الحجة الخامسة: ظاهرة الوحي.

لم يكن الوحي حالة اختيارية تعتري محمدًا ﷺ، بل كان حالة غير اختيارية، وهذا -لمن يؤمن بالغيب- دليل علىٰ كون القرآن من عند الله، فقوة الوحي قوة خارجية، لأنها تتصل بنفس محمد حينًا بعد حين، وهي قوة عالمة، وهي قوة أعلىٰ من قوته، لأنها تحدث آثارًا في بدنه، وهي قوة خيرة معصومة، لا توحي إليه إلا الحق، فما عساها أن تكون تلك القوة إلم تكن قوة ملك كريم؟!

ولم يكن الوحي يعكس شخصية الرسول ﷺ، ففي أكثر الأوقات لا يذكر عنه شيئًا، وتأمل -مثلًا-: حين مات عمه أبو طالب، وزوجته خديجة، وحزن لذلك حزنًا شديدًا، ومع ذلك لم يشر الوحي إلىٰ ذلك.

بل نجد في الوحي آيات اللوم والعتاب له -عليه الصلاة والسلام-.

الحجة السادسة: إعجاز القرآن.

لقد جاء القرآن نموذجًا لا يبارىٰ في الأدب العربي، إنه المثل الأعلىٰ لما يمكن أن يسمىٰ أدبًا بوجه عام، فلغته تأخذ بالقلوب، وتفحم بالحجة، وتجلب السرور الهادئ لا الصاخب:

١- لغة القرآن مادة صوتية؛ تبعد عن طراوة لغة أهل الحضر، وخشونة لغة أهل البادية، إنها تجمع بين رقة الأولىٰ، وجزالة الثانية.

٢- إنها ترتيب في مقاطع الكلمات في نظام أكثر تماسكًا من النثر، وأقل نظمًا من الشعر.

٣-كلماته منتقاة، لا توصف بالغريب إلا نادرًا، تمتاز بالإيجاز العجيب، والنقاء في التعبير.

٤- إنه أسلوب يجمع بين العقل والعاطفة علىٰ رغم ما بينهما من تباعد.

٥- وهو في وحدة سوره، وترتيبها، وتناسق أجزائها آية وأي آية!

*** مراجع إثرائية:**

١- النبأ العظيم، د.محمد دراز، اعتناء: عمرو الشرقاوي، ط. مركز تفكر للبحوث والدراسات.

٢- تنزيه القرآن الكريم، د. منقذ السقار، ط. مركز تكوين.

ما مبررات وبراهين الإيمان بسلامة النص القرآني من التحريف؟

لقد اتفقت كلمة المسلمين جميعًا علىٰ أن القرآن كلام الله، وحجة من أعظم حججه علىٰ عباده، وأبلغها دلالة، ومن أكبر الحجج علىٰ صحة النص القرآني الموجود بين أيدينا:

الحجة الأولىٰ: العناية بالقرآن في عهد النبي ﷺ، وعهد الصحابة.

تمثلت العناية القصوىٰ بالقرآن في عهد النبي ﷺ في حفظ القرآن في قلوب الراسخين في العلم من أصحاب النبي ﷺ، وتدوينهم له، وتلاوتهم له آناء الليل وأطراف النهار.

ولما دعت الحاجة -وهي كثرة قتل القراء في موقعة اليمامة- كان الجمع الأول للقرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

وبعد جمع أبي بكر، بات القرآن الكريم بعد الجمع الأول محفوظًا في مصاحف تجمع سوره وآياته كاملة بين دفتين، أحدها هو مصحف أبي بكر القابع في بيت حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، إلىٰ أن مست الحاجة إلىٰ جعل هذا المكتوب في مصحف واحد علىٰ صورة واحدة تسد باب اختلاف الذين لا يعلمون، فتم جمعه والعناية الفائقة به في عهد عثمان رضي الله عنه.

وبعد ذلك حصلت عمليات تطوير خط المصحف الشريف، وظلت هذه المحاولات، وهذه الحياطة إلىٰ زمان الطباعة، وانتشار المصاحف عبر الأقطار الإسلامية، وانتقالها إلىٰ المسلمين جيلًا بعد جيل.

وليس في القرآن بحمد الله خطأ استطاع أن يثبته أحدٌ كائنًا من كان من وقت تدوينه إلىٰ زمان الناس، وما أثير من شبهات حول الرسم، أو ما ادُّعيَ أنه مخالف للعربية، تصدىٰ له علماء الإسلام بالبيان، والتمحيص، ومصنفاتهم حاضرة قريبة من طالب الحق والهدىٰ.

الحجة الثانية: تلقي القرآن بالمشافهة.

لقد كان القرآن محفوظًا في الصدور كما هو مكتوب في الصحف، وكان الناس ولا يزالون يتلقون هذا القرآن عن أشياخهم، إلىٰ أن يتصل السند بكبار أصحاب النبي ﷺ، وهؤلاء الصحابة أخذوه عن رسول الله ﷺ.

وهذه الحجة مما يعرف تفصيلها من كتاب تاريخ القراءات، وبيان جهود العلماء المبذولة في ضبط الأوجه القرآنية التي يقرأ بها القرآن.

فمن الذي يتصور وقوع التحريف في سورة الحمد (الفاتحة)؟! وهي السورة التي تقرأ في محاريب المسلمين كل يوم عدة مرات، وكذلك سائر القرآن كان يُقرأ في محاريب المسلمين مرة بعد مرة، أيتفق كل هؤلاء علىٰ التحريف ولا نجد إنكارًا عليهم؟! سبحانك هذا بهتان عظيم!

الحجة الثالثة: عدم وجود فجوة تاريخية في مسار القرآن.

بخلاف التوراة التي انقطع سندها بعد موسىٰ عليه السلام بستة قرون علىٰ الأقل، وتعددت نسخها، واختلفت فيما بينها، وبخلاف الإنجيل الذي ظل يتناقل شفهيًا.

لقد وصل القرآن إلينا، بلغته الأصلية التي كان عليها، فلم يتعرض لما قد تتعرض له الترجمة، من اختلاف، وكونها عرضة للاشتباه في الفهم، ونحو ذلك.

وقد نقل إلينا بالمشافهة، وتداوله عدد كبير من الناس، ودوّن في زمان النبي ﷺ، وجمع بعده في دفتين بعد مدة وجيزة جدًا -كما سلف- وإن المطلع علىٰ المخطوطات الموجودة للمصحف الشريف -وهي عتيقة ترجع إلىٰ العصور الأولىٰ من نزول القرآن- يعلم كم أن الله تعالىٰ قد أحاط القرآن بعناية خاصة، لئلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأنه تنزيل من حكيم حميد.

ومع كل العواصف التي عصفت بأمة الإسلام إلا أن أحدًا منهم لم تمتد يده للقرآن ليحرفه، بل لم يستطع، وأنىٰ له ذلك، بل إنهم علىٰ اختلافهم وتناحرهم كانوا معظمين للقرآن معتنين بشأنه، كما يعرف من تاريخ كتابة المصحف والعناية به.

وبعد؛ فإن أعظم دليل علىٰ عدم تحريف القرآن، هو القرآن ذاته، فقد احتفظ القرآن بكل خصائصه التي كان عليها زمان النبوة، لقد ظل مؤثرًا في الأمة، ومعجزًا علىٰ مر الدهور، لا يزال الناس يأخذون منه، وَيَرِدُونَ عليه لا تنفد عجائبه، ولا يخلق علىٰ كثرة الرد.

*** مراجع إثرائية:**

١- مدخل إلىٰ القرآن الكريم، د.محمد دراز، ط.دار القلم.

٢- تاريخ القرآن عند الشيعة الاثنىٰ عشرية، د.عبد العزيز الضامر، ط.مركز تكوين.

٣- موثوقية نقل القرآن، د.عبد الله موسىٰ رمضان، ط.مكتبة التوعية.

٤- المصاحف المنسوبة للصحابة، د.محمد الطاسان، ط.دار التدمرية.

٥- رسم المصحف، د.غانم قدوري الحمد، ط.دار عمار.

ما المراد بكلمة (الوحي)؟

الوحي المقصود هنا هو: القرآن، **فالقرآن هو الوحي الذي أنزله الله بواسطة جبريل ﷺ على قلب محمد ﷺ**، كما قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

ويطلق الوحي في اللغة على الإعلام في خفاء وسرعة، وهو بهذا المفهوم يشمل الوحي العام، والوحي الخاص.

القسم الأول: الوحي العام.

فالوحي العام يشمل: الإشارة، والإيماء، والإلهام، ويشمل أيضًا ما إذا كان الإعلام من الخير أو الشر.

فمن أنواع الوحي العام:

١- الإلهام، والمقصود به: الإلهام الفطري.

منه: ما وقع لأم موسى ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

ومنه: ما حصل للحواريين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

وقد يقع الإلهام لبعض المخلوقات، كما أخبر الله عن النحل، قائلًا: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨].

٢- ما يلقيه الله تعالىٰ لملائكته، قال تعالىٰ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

٣- ويطلق الوحي بهذا المفهوم علىٰ فعل بعض المخلوقين، كما قال سبحانه عن زكريا عليه السلام، ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]، فالمعنىٰ: أشار إليهم أن يسبحوا الله بكرة وعشيًا.

٣- ويطلق الوحي بهذا المفهوم علىٰ ما يلقيه الشياطين إلىٰ أوليائهم، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

القسم الثاني: الوحي بالمفهوم الشرعي.

أما الوحي بالمفهوم الشرعي، فيطلق علىٰ؛ إعلام الله لنبي من أنبيائه، بكيفية معينة، بنبوته، وما يتبعها من أوامر ونواه وأخبار.

وهذا الوحي بالمفهوم الشرعي له أنواع متعددة، ذكر الله تعالىٰ أعلاها في قوله: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورىٰ: ٥١].

هذه مقامات الوحي بالنسبة إلىٰ جناب الله عز وجل:

١- فتارة يقذف في روع النبي صلى الله عليه وسلم شيئًا لا يُتمارىٰ فيه أنه من الله عز وجل، وهذا يقع يقظة ومنامًا.

٢- وتارة يقع بتكليم الله عز وجل مباشرة من وراء حجاب، كما حصل لموسىٰ عليه السلام.

٣- وتارة يقع بتكليم المَلك، وبهذه الطريقة وقع نزول القرآن، فقد نزل به جبريل عليه السلام.

كيف كان حال النبي ﷺ عند نزول الوحي؟

ورد ذلك في بعض الأحاديث، والتي وصفت حال النبي ﷺ حين ينزل عليه الوحي، ومن هذه الأحاديث:

١- عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: **أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلًا فيكلمني فأعي ما يقول»، قالت** عائشة رضي الله عنها: «**ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا**» [رواه البخاري: (٢)].

[(صلصلة) هي صوت الحديد إذا حرك وتطلق علىٰ كل صوت له طنين، والمشبه هنا صوت الملك بالوحي. (فيفصم) يُقْلِع، ويذهب. (وعيت) فهمت وحفظت. (ليتفصد) يسيل، مبالغة من كثرة عرقه].

٢- عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦] قال: «كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه -فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما، وقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما، فحرك شفتيه- فأنزل الله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧، ١٨] قال: جمعه لك في صدرك وتقرؤه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] قال: فاستمع له وأنصت: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٩] ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه»، [رواه البخاري: (٥)].

صف لحظة نزول القرآن

ورد ذلك في حديث السيدة عائشة ﵂، ولأدعك مع الحديث الجليل، لتتأمله جيدًا:

عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: «أول ما بدأ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلىٰ أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلىٰ خديجة فيتزود لمثلها، حتىٰ جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ»، قال: **«فأخذني فغطني حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال:** ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾» [العلق: ٢].

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل علىٰ خديجة بنت خويلد ﵂، فقال: «زملوني، زملوني» فزملوه حتىٰ ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت علىٰ نفسي» فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين علىٰ نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتىٰ أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزىٰ ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك،

فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترىٰ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأىٰ، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله علىٰ موسىٰ، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «**أو مخرجي هم؟**»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرًا.

ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي»، [رواه البخاري: (٣)].

هل نزل القرآن جملة واحدة أم نزل مفرقًا؟ وما فائدة تفريقه؟

نزل القرآن علىٰ النبي ﷺ مدة ثلاث وعشرين سنة، وهي مدة بعثته ﷺ، قـــال ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

وأما عن فوائد هذا النزول المنجم (أي: المفرق)، فمنها:

١- **تثبيت قلب النبي ﷺ**، ولقد كان تأخر الوحي عن رسول الله يقلقه كثيرًا، محبة منه لكلام ربه سبحانه وبحمده.

٢- مواكبة الحوادث والمسائل التي تقع في عصر النبوة، إذ كان الوحي ينزل بشأنها؛ إما قرآن، وإما غير ذلك، تلك الحوادث والمسائل هي أسباب النزول التي صارت علمًا مهما لمن أراد أن يفسر القرآن.

٣- التدرج في التشريع وبيان الأحكام والحدود، فالشريعة لم تنزل جملة واحدة علىٰ رسول الله ﷺ، بل كان ينزل منها الشيء بعد الشيء من تفاصيل الأحكام والحدود حتىٰ اكتملت الشريعة وتم الدين.

ما أول ما نزل من القرآن؟

أول ما نزل من القرآن سورة (اقرأ)، ففي حديث عائشة أم المؤمنين أنها أخبرت عن أول مجيء جبريل عليه السلام للنبي ﷺ وهو في غار حراء، قالت: «حتىٰ جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: **«ما أنا بقارئ»**، قال: فأخذني فغطني حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٢]»، [رواه البخاري: (٣)].

وهذا صريح في أن **أول نزول للقرآن كان في غار حراء، وأن أول ما نزل منه هذه الآيات الخمس من أول سورة العلق.**

ثم حصل فتور للوحي، ونزل بعد هذا الفتور سورة المدثر.

ما آخر ما نزل من القرآن؟

ليس في هذه المسألة حسم، ولعل أصح ما قيل فيها، أن آخر ما نزل من آيات القرآن هي آيات الربا في سورة البقرة، وآخرها قوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أما آخر سورة نزلت، فلعل أصح ما قيل في هذا أيضًا، أنها سورة النصر.

ما المراد بنزول القرآن على سبعة أحرف؟

يهمنا في هذه الإجابة إبراز عدة نقاط لابدّ أن تكون في وعي المؤمن عند دراسته لهذا الموضوع:

١- أن كل الاختلاف الحاصل في هذا الموضوع لا يؤثر علىٰ صحة النص القرآني، لأنه محفوظ بحمد الله تعالىٰ كما تقدم معنا في جواب السؤالين الثاني والثالث.

٢- أن نزول الأحرف السبعة كان في المدينة.

٣- أن هذه الأحرف نزلت من عند الله، وأنها نزلت للتخفيف علىٰ الأمة.

٤- أن العدد «سبعة» يقصد به العدد المعروف، وهو ما بين الستة والثمانية.

٥- أن العلماء اتفقوا علىٰ أن الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبع.

٦- أن الاختلاف بين الأحرف السبعة هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، **فلا تناقض بين معاني الأحرف السبعة علىٰ أي مذهب من مذاهب العلماء المفسرين لمعنىٰ الأحرف.**

وقد اختلف العلماء في بيانها، ومن الأقوال القريبة، أنها: وجوه قرائية منزلة، متعددة، متغايرة، في الكلمة القرآنية الواحدة ضمن نوع واحد من أنواع التغاير.

فاللفظ الواحد قد يحتمل عدة أوجه من القراءة، وهذه الأوجه لا يمكن أن تتعدىٰ في اللفظ الواحد سبعة أوجه، فلفظ إبراهيم، يُقرأ هكذا: (إبراهام)، ويُقرأ (إبراهيم).

وهذه الأحرف باقية، وهي مبثوثة في القراءات الموجودة بين أيدينا، وقد وقع ترك لبعض الأوجه، فلم يعد يُقرأ بها.

* مراجع إثرائية:

١- قضية الجمع القرآني، أحمد سالم، ط. مركز تفكر للبحوث والدراسات.

٢- المحرر في علوم القرآن، د. مساعد الطيار، ط.معهد الإمام الشاطبي.

٣- معاني الأحرف السبعة، أبو الفضل الرازي، ت: د. حسن عتر، ط.دار النوادر.

٤- حديث الأحرف السبعة، د. عبد العزيز القارئ، ط. مؤسسة الرسالة.

ما المراد بالقراءات؟

القراءات هي: علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معزوًا لناقله.

فأنت تسمع اليوم: قراءة ورش عن نافع، وقالون عن نافع، وحفص عن عاصم، وشعبة عن عاصم، والدوري، وحمزة . . . إلىٰ آخره.

ولكي تتصور كيفية وجود هذه القراءات، فسنعرض إلىٰ تاريخ القراءات بصورة مختصرة جدًا، فنقول:

نزل القرآن علىٰ النبي ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، فقد كان جبريل يأخذ القرآن عن رب العالمين -تعالىٰ-، وينزل به علىٰ قلب النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يُقرئ الصحابة، وقد أخذوا عنه القرآن، وصار القرآن يحمل عنهم بالتلقي.

وكان للعرب طرق مختلفة في كيفية أداء الحروف، فبعضهم كان يهمز، وبعضهم يترك الهمز، وبعضهم يقرأ بالإمالة، وبعضهم لا يميل، وهكذا.

وقد سمح النبي ﷺ أن يقرأ كل واحد فيهم، بطريقة قومه في أداء هذه الحروف.

ومع ذلك: فإنهم تلقوا بعض الكلمات عن النبي ﷺ بأوجه مختلفة، فمثلًا: كلمة (ضنين) في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤]، قُرأت بالضاد، وقرأت بالظاء (بظنين)، وقد تلقاها الصحابة عن رسول الله ﷺ.

ومن هنا ظهرت الأوجه المختلفة في أداء كلمات القرآن الكريم.

وفي تلك المرحلة، كان الصحابة يعلم بعضهم بعضًا القرآن، ولما تم جمع عثمان رضي الله عنه، انتصب بعض الصحابة لإقراء القرآن، وصار الناس يرحلون من الأمصار للأخذ عنهم، والقراءة عليهم.

وتشكلت في هذه المرحلة مسألة التلقي الشفوي للقرآن، بأن يرحل الطالب إلىٰ شيخ فيتلقىٰ عنه القرآن، وقد ظهر في ذلك الزمن أئمة صاروا أئمة الإقراء في زمانهم.

وكانت هذه الفترة تمهيدًا للمرحلة التي بعدها، وهي فترة التدوين لروايات القراءات مع توفرها وبروزها ووضوحها.

ومن أهم المؤلفات التي ألفت في القراءات، كتاب: (السبعة في القراءات)، للإمام أبي بكر ابن مجاهد (٣٢٤ هـ)، وقد اختار في هذا الكتاب سبعة أئمة من أئمة الإقراء، وهم: نافع المدني، وابن كثير المكي، وأبي عمر بن العلاء البصري، وابن عامر الشامي، وعاصم الكوفي، وحمزة بن حبيب الزيات الكوفي، وعلي الكسائي الكوفي، وصار يطلق علىٰ قراءة هؤلاء: **القراءات السبع**.

وقد اختار العلماء لكل قارئ من هؤلاء القراء اثنين ممن أخذوا عنه القراءة، فاختاروا لعاصم -مثلًا- راويين، هما: أبو بكر بن عياش شعبة، وحفص ابن سليمان، ولنافع: قالون، وورش، وهكذا.

وألفت كتب في قراءة هؤلاء السبعة، من أشهرها، كتاب: «التيسير» لأبي عمرو الداني (٤٤٤ هـ)، ونظمه للإمام الشاطبي (٥٩٠ هـ).

وبعد هذه المرحلة، ألف العلماء كتبًا كثيرة في القراءات، وصار بعضهم يزيد علىٰ هذه القراءات السبع، لئلا يظن الناس أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة.

وصار العلماء يحررون هذه القراءات، ويعتنون بأمرها، حتىٰ وصلت إلىٰ إمام عظيم القدر، وهو الإمام ابن الجزري رحمه الله (٨٣٣هـ)، فألف كتابه العظيم: **(النشر في القراءات العشر)**، وزاد علىٰ هؤلاء الأئمة السبعة، ثلاثة هم: أبو جعفر ابن يزيد القعقاع، ويعقوب الحضرمي، وخلف البزار.

وكانت قراءات الأئمة العشرة منتشرة في الأمصار الإسلامية، يقرأ أهل كلِّ مصر وما حوله بقراءة إمامهم، واستمر الحال علىٰ ذلك قرونًا، وذكر الداني أنَّ إمام الجامع الكبير في البصرة لا يقرأ إلَّا بقراءة يعقوب، **وكان أهل مصر يقرؤون برواية ورش حتىٰ القرن الخامس الهجري، ثم انتشرت بينهم قراءة أبي عمرو البصري.**

ويبدو أنَّ الأمر استمر علىٰ هذا الحال زمنًا بعد ذلك، حتىٰ امتد حكم الدولة العثمانية للبلاد العربية في القرن العاشر الهجري، فانتشرت رواية حفص عن عاصم في معظم العالم الإسلامي منذ ذلك الوقت بسبب اعتماد الدولة العثمانية لها، ثم طباعة المصحف بها، وازدادت انتشارًا في زماننا هذا بسبب كثرة المصاحف المطبوعة بها، وانتشار التسجيلات بها، وعبر الإذاعات ووسائل الإعلام المتعددة، فرواية حفص عن عاصم يقرأ بها معظم المسلمين في الدول الإسلامية وغيرها.

ويقرأ برواية قالون عن نافع، في ليبيا وأجزاء من تونس والجزائر.

وبرواية ورش عن نافع في غرب مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا وتشاد والكاميرون ونيجيريا وأغلب البلاد الأفريقية الغربية، وفي شمال وغرب السودان.

ويقرأ برواية الدوري عن أبي عمرو في السودان والصومال، وحضر موت في اليمن.

أمَّا المصاحف فنظرًا لانتشار رواية حفص عن عاصم بين معظم المسلمين؛ فإنَّ غالبية المصاحف تُطبع وَفق روايته، وتأتي بعد ذلك المصاحف المطبوعة برواية ورش عن نافع، حيث طبعت في مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة وفي بلاد المغرب العربي وسوريا وقطر، وطبعت مصاحف برواية قالون في ليبيا وتونس والجزائر، وبرواية الدوري في السودان والمدينة المنورة.

ويلْحظُ القارئ في هذه المصاحف وجود اختلافات يسيرة بينها في الضبط وفي الحركات المثبتة علىٰ الألفاظ المُختلَف فيها بين هذه الروايات، كما تختلِف

هذه المصاحف في رسم بعض الألفاظ تبعًا للمذهب الذي رسم به المصحف، وتختلف في عدد آياتها حسب العدد المعتَمَد لبلد القارئ.

مصطلحات مهمة متعلقة بالقراءات:

- (القراءة، والرواية، والطريق): يُقال: قراءة فلان إذا نُسبت لأحد القُرَّاء السبعة أو العشرة، أو غيرهم ممَّن تتوافر لقراءتهم شروط القبول التي ذكرناها كأن يُقال: قراءة نافع، أو قراءة ابن كثير، أو قراءة حمزة وهكذا.

وأمَّا الرواية: فهي التي تُنسب لأحد الرواة عن القارئ، كأن يُقال رواية حفص عن عاصم، أو رواية قالون عن نافع، أو رواية البَزِّي عن ابن كثير، ولا تلزم في الرواية المعاصرة للقارئ والطريق.

والطريق: يُطلق علىٰ ما ينسب للآخذ عن الراوي ولو سفل، كطريق الأزرق لرواية ورش عن نافع، أو طريق عبيد بن الصباح لرواية حفص عن عاصم.

فالقارئ (نافع - عاصم)، والراوي (ورش - حفص)، والطريق (الأزرق - عبيد بن الصباح).

فالطبقة الأولىٰ، وهي طبقة الشيوخ اصطلحوا علىٰ تسميتهم (القراء)، والطبقة الثانية، وهم التلاميذ اصطلحوا علىٰ تسميتهم (الرواة)، والطبقة التي تحتها مهما نزلت اصطلحوا علىٰ تسميتهم بالطرق.

- (الأصول): مسائل علم القراءات التي لها قاعدة معينة تندرج فيها الجزئيات، مثل: الإدغام، والمد، والإمالة، ونحوها، وقد يُخالف بعض القراء القاعدة في كلمات يسيرة.

- (الفَرْش): الألفاظ القرآنية التي اختلف فيها القراء، والتي لا تندرج ضمن قواعد ومسائل أصول القراءة، وسميت بالفرش لانتشارها وتفرقها في السور؛ فإنَّ فرش الشيء: نشره وبثه، مثل: كلمة (ضنين) في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤]، فقد قرأها بعض القراء (بظنين) بالظاء، ومثل كلمة (الصراط) فقد قرأها بعض القراء (السراط) بالسين.

* مراجع إثرائية:

١- مقدمات في علم القراءات، د. القضاة، د. أحمد خالد شكري، ط. دار عمار.

٢- الأساس في علم القراءات، د. علي الجعفري، ط. أروقة.

متى جمع القرآن؟ وما عدد مرات جمعه؟

اعلم أن القرآن لم يجمع بين دفتين زمن النبي ﷺ، مع أنه كان يكتب بين يديه؛ لأن الحاجة لم تدع إلىٰ ذلك، ولأن القرآن ما زال ينزل ويضاف إليه، وينسخ منه.

ولما دعت الحاجة -وهي كثرة موت القراء في موقعة اليمامة- كان الجمع الأول للقرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وقد قام بعملية الجمع زيد بن ثابت رضي الله عنه، وقد اتكأ زيد علىٰ الأساسين اللذين كانا قد جمع بهما القرآن زمن النبي ﷺ، وهما:

١- صدور الرجال.

٢- الصحف المفرقة وما يشبهها من أدوات الكتابة.

ويمكننا تلخيص مميزات هذا الجمع في النقاط التالية:

(١) أن كتابته قامت علىٰ أدق وسائل التثبت والاستيثاق.

(٢) أنه جمع في مصحف واحد مرتب الآيات والسور.

(٣) موافقته لما ثبت في العرضة الأخيرة.

(٤) اقتصاره علىٰ ما لم تنسخ تلاوته، وتجريده مما ليس بقرآن.

(٥) اشتماله علىٰ الأحرف السبعة التي ثبتت في العرضة الأخيرة.

(٦) إجماع الصحابة علىٰ صحته ودقته، وعلىٰ سلامته من الزيادة والنقصان، وتلقيهم له بالقبول والعناية.

وبعد أن تم الجمع الأول، صارت الصحف إلىٰ أبي بكر، ثم إلىٰ عمر، ثم إلىٰ أم المؤمنين حفصة بنت عمر -رضي الله عنهم أجمعين-.

بات القرآن الكريم بعد الجمع الأول محفوظًا في مصاحف تجمع سوره وآياته كاملة بين دفتين، أحدها هو مصحف أبي بكر القابع في بيت حفصة أم المؤمنين ﵂، وقد كان نفر من الصحابة الذين حملوا القرآن عن النبي ﷺ يكتبون القرآن بأيديهم وفق ما سمعوه من النبي ﷺ، ونظرًا لنزول القرآن علىٰ سبعة أحرف فقد كان يقع أن يكون الذي مع صحابي منهم هو علىٰ حرف خلاف الذي مع صحابي آخر، ونظرا إلىٰ أنه وقع في العرضة الأخيرة نسخ، ونظرًا إلىٰ أنه ليس كل واحد من أولئك الصحابة شهد تلك العرضة فقد وقع أن اختلف صحابة النبي ﷺ في القرآن اختلافًا لا يخرج عن كونه اختلافًا في الأحرف التي تدور عليها آيات القرآن، وما يمكن أن يكون منها منسوخًا وما يمكن أن يكون منها محفوظًا، ولو بقي هذا الاختلاف في المحفوظ في الصدور يتداوله حملة القرآن عن أشياخهم لهان الأمر، ولكان من جنس اختلاف الصحابة في الأحرف السبعة حتىٰ في زمان حياة النبي ﷺ، ولكنه تعدىٰ إلىٰ الذين ينظرون في الصحف لا يتبينون وجه هذه الكلمة المكتوبة في هذا المصحف ولمَ تختلف صورتها باختلاف المصاحف؟ ولمَ يوجد في مصحف ما لا يوجد في آخر؟!

وهنا مست الحاجة إلىٰ جعل هذا المكتوب في مصحف واحد علىٰ صورة واحدة تسد باب اختلاف الذين لا يعلمون، ولم يكن أمام عثمان ﵁ للقيام بهذه العملية التوحيدية أفضل من مصحف أبي بكر ﵁، لذا فقد جعله أمامه، وقام باستنساخه.

وكانت أركان هذه العملية التوحيدية ثلاثة، وهي:

(١) أن تنسخ الصحف الأولىٰ التي جمعها زيد بن ثابت في عهد أبي بكر الصديق في مصاحف متعددة.

(٢) أن ترسل نسخة إلىٰ كل مصر من الأمصار؛ فتكون مرجعًا للناس منه يَقرَؤُون ويُقرِؤُون، وإليه يحتكمون عند الاختلاف.

(٣) أن يحرق ماعدا هذه النسخ.

وقد تم هذا الجمع عبر لجنة مكونة من أربعة أشخاص، وهم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

وقد أجمع الصحابة علىٰ هذا الجمع العظيم، وقد قال علي رضي الله عنه: «رحم الله عثمان، لو وليته؛ لفعلت ما فعل في المصاحف».

وقد وقع خلاف بين العلماء في عدد المصاحف، **والصحيح أنها ستة:** المصحف الذي استكتبه عثمان لنفسه، والمصحف المدني الذي كان عند زيد بن ثابت، والمصحف المكي، والمصحف الكوفي، والمصحف البصري، والمصحف الشامي، وهذه المصاحف هي التي نقل العلماء عنها، وحكوا ما فيها من الرسم، أما ما عدا ذلك كالمصحف المنسوب للبحرين أو لليمن، فلم ينقل عنه، مما يشير إلىٰ عدم وجودهما أصلًا.

*** مراجع إثرائية:**

١- قضية الجمع القرآني، أحمد سالم، ط. مركز تفكر للبحوث والدراسات.

٢- جمع القرآن، د. أكرم الدليمي، ط. دار الكتب العلمية.

بيان موقف ابن مسعود رضي الله عنه من جمع القرآن.

بداية لا بد من التنبيه إلىٰ أن ابن مسعود رضي الله عنه لم يعترض علىٰ نفس الجمع، ولم يعترض علىٰ المجموع، وإنما عرضت له شبهة في طريقة الجمع في عهد عثمان رضي الله عنه.

ودليل ذلك: أنه لم يرد أن ابن مسعود اعترض علىٰ جمع أبي بكر رضي الله عنه.

فالحاصل: أنه قد ورد اعتراضه رضي الله عنه علىٰ جمع عثمان رضي الله عنه في عدة أمور، منها: أنه قد اسثني من لجنة الجمع، وأنه لم يكن يثبت المعوذتين في مصحفه.

وإنما اختار عثمان زيدًا لأجل أنه هو المختار في الجمع الأول، ولاختصاصه عن ابن مسعود بالكتابة واشتهاره، بينما اشتهر عبد الله بالإقراء والقراءة، وفعل عثمان مرسوم وليس مقروءًا، وكان ابن مسعود في ذلك الوقت كبير السن، بينما كان زيد في شبابه، ومثل هذا يجعله أقدر علىٰ حمل أعباء تلك المهمة، مع اعتبارات أخرىٰ.

وقد ثبت عن ابن مسعود أنه تمسك بقراءته لا غير، وما ورد أنه أمر الناس أن يمسكوا مصاحفهم ونحو ذلك لا يثبت أمام النقد والتمحيص، ولو ثبت فإنه خطأ منه، ولا يؤثر بحمد الله علىٰ صحة النص القرآني، لأن الصحابة أجمعوا عليه، ولأن ابن مسعود لم يعترض علىٰ شيء فيه.

أما ما ورد عنه من أنه لم يكن يرىٰ أن المعوذتين من القرآن، وكان يرىٰ أن الله تعالىٰ أنزلهما للتعوذ فقط (علىٰ جهة الدعاء فحسب).

فقد حاول بعض العلماء نفي ثبوته، وأوله بعضهم بتأويلات متكلفة، والذي أرتضيه: أنه قد ثبت عنه ذلك، وهذا خطأ منه ﵁، وخالف بذلك قول الصحابة جميعًا، وإجماع المسلمين بعده ﵁.

فحاصل الأمر، أنه لم يعلم، وغيره قد علم، ومن علم حجة علىٰ من لم يعلم.

وليس بمستغرب أن يخفىٰ بعض العلم علىٰ بعض الصحابة، ولتنتبه أن المعوذتين أنزلتا في المدينة، ولم ينكر ابن مسعود أنهما أنزلتا من الله، لكنه كان لا يرىٰ قرآنيتهما فحسب، فهذا ظن ظنه، وبان خطؤه بإجماع الأمة.

وقد ذكر بعض العلماء أن ابن مسعود رجع عن ذلك، وأن الأسانيد الإقرائية إليه فيها إثبات المعوذتين، والله أعلم.

* مراجع إثرائية:

تحقيق موقف الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود من الجمع العثماني، د. محمد الطاسان، ط. كرسي القرآن وعلومه.

ما المراد بالرسم العثماني؟

تعني عبارة (رسم المصحف) **طريقة رسم الكلمات في المصحف من ناحية عدد حروف الكلمة ونوعها**، لا من حيث نوع الخط وجماليته، ويستند رسم الكلمات في المصحف إلىٰ طريقة رسمها في المصاحف التي نسخت في خلافة عثمان ﷺ والتي عرفت في المصادر الإسلامية باسم المصاحف العثمانية، نسبة إلىٰ سيدنا عثمان لكونه هو الذي أمر بنسخها وإرسالها إلىٰ البلدان خارج الجزيرة العربية، كما صار رسم الكلمات فيها يعرف بالرسم العثماني.

وقد حافظ المسلمون علىٰ رسم الكلمات في المصحف كما جاءت في المصاحف العثمانية الأولىٰ، مع ما في عدد منها من حذف بعض الحروف أو زيادة بعضها، اقتداء بعمل الصحابة ﷺ.

وقد كانت المصاحف العثمانية مجردة من نقاط الإعجام ومن الحركات وغيرها من العلامات، لخلو الكتابة العربية في تلك الحقبة منها، وبقيت الكتابة العربية تستعمل علىٰ ذلك النحو حتىٰ النصف الثاني من القرن الأول الهجري، حين بدأت الدراسات اللغوية في العراق، وكان خلوّ الكتابة العربية من العلامات من أولىٰ المشكلات التي عالجتها تلك الدراسات.

وتجمع المصادر العربية القديمة علىٰ أن أبا الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو [ت ٦٩هـ]) هو أول من اخترع طريقة لعلامات الحركات تعتمد علىٰ النقاط الحمر، وكان ذلك في البصرة، فجعل الفتحة نقطة فوق الحرف، والكسرة نقطة تحت الحرف، والضمة نقطة أمام الحرف، وجعل التنوين نقطتين.

وتنسب المصادر العربية إلىٰ نصر بن عاصم الليثي البصري (ت ٩٠هـ)، وهو تلميذ أبي الأسود الدؤلي، اختراع نقاط الإعجام التي تميز بين الحروف المتشابهة في الرسم، مثل الدال، والذال، والراء، والزاي، ونحوها، وكان ذلك بتوجيه من الحجاج بن يوسف الثقفي في أثناء ولايته علىٰ العراق بين سنة (٧٥-٩٥هـ).

ولم تستمر طريقة أبي الأسود الدؤلي في تمثيل الحركات بالنقاط الحمر طويلًا، لصعوبتها عند الكتابة، واحتمال التباسها بنقاط الإعجام التي وضعها نصر للتمييز بين الحروف المتشابهة في الرسم، وذلك حين جعل الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ) الحركات حروفا صغيرة مكان النقاط الحمر، وكذلك وضع الخليل علامة للهمزة والتشديد والرَّوم والإشمام، واستخدمت العلامات الجديدة تدريجيًا، حتىٰ زالت طريقة الدؤلي بعد ذلك.

وصارت المباحث المتعلقة بالعلامات الكتابية علما أطلق عليه اسم (علم النَّقط والشَّكل)، وهو يعالج كيفية استخدام العلامات في رسم المصحف خاصة، ومذاهب العلماء في ذلك، وسمي هذا العلم في العصور المتأخرة بعلم الضبط.

*** مراجع إثرائية:**

١- الميسر في رسم المصحف، د. غانم قدوري الحمد، ط. معهد الإمام الشاطبي.

٢- رسم المصحف، د. غانم قدوري الحمد، ط. دار عمار.

ثانيًا: علوم القرآن

«علم القرآن العظيم: هو أرفع العلوم قدرًا، وأجلها خطرًا، وأعظمها أجرًا، وأشرفها ذكرًا».

(ابن جزي)

«إن أحق ما صرفت إلىٰ علمه العناية، وبلغت في معرفته الغاية، ما كان لله في العلم به رضا، وللعالم به إلىٰ سبيل الرشاد هدىٰ، وإن أجمع ذلك لباغيه، كتاب الله الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مرية فيه، الفائز بجزيل الذخر وسني الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد».

(ابن جرير الطبري)

ما المراد بالمكي والمدني؟ وما الفائدة المترتبة على معرفته؟

ينقسم القرآن من حيث مكان نزوله إلىٰ قسمين:

الأول: القرآن المكي، وهو: ما نزل قبل الهجرة.

والثاني: القرآن المدني، وهو: ما نزل بعد الهجرة.

لم يحدثنا التاريخ أن النبي ﷺ كان قد أمر أصحابه بحفظ الآيات والسور علىٰ زمان النزول، وإنما تشير الروايات إلىٰ أنه كان يحدد لهم مواضع الآيات من السور وقت التنزيل وعند كتابتها في الرقاع.

ومن ثم فإن الصحابة كانت جهودهم متجهة إلىٰ حفظ القرآن مرتبا علىٰ نحو ما يرتبه لهم رسول الله ﷺ، ولكن بقي في ذاكرتهم ما لاحظوه من مكان وزمان نزول كثير من الآيات والسور، ونقل ذلك عنهم تلامذتهم من التابعين.

ولمعرفة الفرق بين المكي والمدني فوائد منها:

١- معرفة الناسخ والمنسوخ من القرآن.

٢- فهم الآيات وتفسيرها تفسيرًا صحيحًا، وتنزيلها علىٰ المعاني اللائقة بها من حيث مراد الله منها.

٣- تأكيد الإعجاز في القرآن، حيث إنه رغم اختلاف الزمان الذي نزل فيه المكي والمدني إلا أن الأسلوب لم يختلف من حيث الجزالة والبلاغة والبيان.

٤- الرد علىٰ بعض الشبهات التي يثيرها خصوم الإسلام.

٥- مراعاة أسلوب التدرج في التربية أخذًا من المنهج القرآني، ومراعاته في الدعوة أيضًا.

حصر السور المكية والمدنية:

تحديد مكية السورة أو مدنيتها ثبت بحسب النصوص الواردة عن الصحابة والتابعين، وما لم يثبت فيه نص فهو باجتهاد العلماء.

السور المكية		السور المدنية	المختلف فيها والراجح أنها مكية	المختلف فيها والراجح أنها مدنية
(١) الأنعام	(٣٨) النجم	(١) البقرة	(١) الفاتحة	(١) المطففين
(٢) الأعراف	(٣٩) القمر	(٢) آل عمران	(٢) الرعد	(٢) الفلق
(٣) يونس	(٤٠) الملك	(٣) النساء	(٣) الحج	(٣) الناس
(٤) يوسف	(٤١) القلم	(٤) المائدة	(٤) الرحمن	
(٥) إبراهيم	(٤٢) الحاقة	(٥) الأنفال	(٥) الواقعة	
(٦) الحجر	(٤٣) المعارج	(٦) التوبة	(٦) التغابن	
(٧) النحل	(٤٤) نوح	(٧) النور	(٧) الإنسان	
(٨) الإسراء	(٤٥) الجن	(٨) الأحزاب	(٨) الزلزلة	
(٩) الكهف	(٤٦) المزمل	(٩) محمد	(٩) العاديات	
(١٠) مريم	(٤٧) المدثر	(١٠) الفتح	(١٠) التكاثر	
(١١) طه	(٤٨) القيامة	(١١) الحجرات	(١١) العصر	
(١٢) الأنبياء	(٤٩) المرسلات	(١٢) الحديد	(١٢) الماعون	
(١٣) المؤمنون	(٥٠) النبأ	(١٣) المجادلة	(١٣) الكوثر	
(١٤) الفرقان	(٥١) النازعات	(١٤) الحشر	(١٤) الإخلاص	
(١٥) الشعراء	(٥٢) عبس	(١٥) الممتحنة		
(١٦) النمل	(٥٣) التكوير	(١٦) الصف		
(١٧) القصص	(٥٤) الانفطار	(١٧) الجمعة		
(١٨) العنكبوت	(٥٥) الانشقاق	(١٨) المنافقون		

السور المكية		السور المدنية	المختلف فيها والراجح أنها مكية	المختلف فيها والراجح أنها مدنية
(١٩) الروم	(٥٦) البروج	(١٩) الطلاق		
(٢٠) لقمان	(٥٧) الطارق	(٢٠) التحريم		
(٢١) السجدة	(٥٨) الأعلىٰ	(٢١) البينة		
(٢٢) سبأ	(٥٩) الغاشية	(٢٢) النصر		
(٢٣) فاطر	(٦٠) الفجر			
(٢٤) يس	(٦١) البلد			
(٢٥) الصافات	(٦٢) الشمس			
(٢٦) ص	(٦٣) الليل			
(٢٧) الزمر	(٦٤) الضحىٰ			
(٢٨) غافر	(٦٥) الشرح			
(٢٩) فصلت	(٦٧) التين			
(٣٠) الشورىٰ	(٦٨) العلق			
(٣١) الزخرف	(٦٩) القدر			
(٣٢) الدخان	(٧٠) القارعة			
(٣٣) الجاثية	(٧١) الهمزة			
(٣٤) الأحقاف	(٧٢) الفيل			
(٣٥) ق	(٧٣) قريش			
(٣٦) الذاريات	(٧٤) الكافرون			
(٣٧) الطور	(٧٥) المسد			

* مراجع إثرائية:

١- المكي والمدني في القرآن الكريم، د. عبد الرزاق حسين أحمد، ط. دار ابن عفان.

٢- المكي والمدني من السور والآيات، د. محمد الفالح، ط. دار التدمرية.

هل لكل آية من القرآن سبب نزول؟
وما المراد بأسباب النزول؟

نزول القرآن لا يخرج عن قسمين:

الأول: ألا يكون له سبب مباشر، بل ينزل حسب الحاجة والمصلحة، وهو أكثر القرآن.

الثاني: أن يقع حدث فينزل قرآن بشأنه، وهذا هو المراد بأسباب النزول، وفيه مؤلفات في حصر الآيات التي نزلت بسبب.

وهذا الحدث يشمل كل قول أو فعل، أو سؤال وقع ممن عاصروا التنزيل، ونزل القرآن بسببهم.

ويمكن أن نعرف سبب النزول بأنه: **(كل قول أو فعل نزل بشأنه قرآن عند وقوعه)**.

ولأسباب النزول عدة فوائد، يمكننا أن نبرز بعضها في النقاط الآتية:

١- الإعانة علىٰ فهم المراد من الآية.

٢- تصور أحوال من نزل فيهم القرآن.

٣- إبراز حكم التشريع الباهرة.

٤- الكشف عن الظرفين المكاني والزماني لنزول الآيات.

٥- التأسي والاقتداء بما وقع للسلف من حوادث في الصبر علىٰ المكاره واحتمال الأقدار المؤلمة.

* مراجع إثرائية:

١- المحرر في أسباب النزول، د. خالد المزيني، ط. دار ابن الجوزي.
٢- التسهيل في أسباب التنزيل، عمرو الشرقاوي، ط. مركز تفكر.
٣- التوظيف العلماني لأسباب النزول، د. أحمد قوشتي، ط. البيان.

هل رتب القرآن وفق تسلسل نزوله؟

من المعروف أن ترتيب الآيات والسور في المصحف لم يعتمد علىٰ تأريخ نزولها، وإنما اعتمد علىٰ بيان رسول الله ﷺ وقراءته للقرآن وتعليمه ذلك للصحابة.

ولم يعد تأريخ نزول الآيات والسور محفوظًا علىٰ نحو مفصل، لأن الصحابة لم يعتنوا بهذا الجانب من تأريخ القرآن، وإنما كانت عنايتهم متجهة إلىٰ حفظه علىٰ نحو ما يقرؤه لهم النبي ﷺ، لكن إشارات تأريخية ومعنوية ارتبط بها نزول آيات وسور من القرآن ظلت تشير إلىٰ وقت نزولها ومكانه، واعتنىٰ علماء القرآن من الصحابة والتابعين بحفظ تلك الإشارات والبناء عليها، حتىٰ صارت علمًا من علوم القرآن يسمىٰ بعلم المكي والمدني، وأفرده بالتصنيف جماعة من العلماء.

كيف تم ترتيب سور القرآن وآياته؟

الصحيح أن السور رتبت في المصحف بتوقيف من النبي ﷺ، وقد ذكرت بعض السور مرتبة في عدد من الأحاديث.

وقد أجمع العلماء أن ترتيب الآيات مأخوذ من النبي ﷺ، لم يتدخل فيه أحد.

ما عدد سور القرآن؟

عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة بإجماع العلماء، أولها (الفاتحة) وآخرها (الناس).

وأطول سورة في القرآن هي سورة (البقرة)، وأقصر سورة هي (الكوثر)، وأطول آية هي آية (الدين)، وأقصر آية هي (والضحىٰ).

وتنقسم سور القرآن إلىٰ أربعة أقسام، بحسب الطول والقصر:

١- الطوال: وهي سبع سور، البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، واختلف العلماء في السابعة، فقال بعضهم: الأنفال والتوبة، وقال بعضهم: يونس.

٢- المئين: وهي السور التي تزيد آياتها علىٰ مائة أو تقاربها، كالأنفال، ويونس، وهود، والنحل، والإسراء، والمؤمنون.

٣- المثاني: وهي التي تلي المئين في عدد الآيات، وسميت بذلك لأنها تُثَنَّىٰ في القراءة، وتُكرَّر أكثر من الطوال والمئين، كالنور، والفرقان، والقصص، ويس، والزمر.

٤- المفصل: وهي السور من سورة: (ق)، أو سورة (الحجرات) إلىٰ سورة (الناس)، وتسميته بالمفصَّل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة.

والمفصل ثلاثة أقسام: طوال، وأوساط، وقصار.

فطواله: من أول (الحجرات) إلىٰ سورة (البروج)، وأوساطه: من سورة (الطارق) إلىٰ سورة (لم يكن)، وقصاره: من سورة (إذا زلزلت) إلىٰ آخر القرآن.

وأما تجزئة القرآن وتحزيبه وقسمة الأرباع علىٰ الصورة التي توجد في مصاحف المسلمين؛ فإنها اجتهادية، ولها أصل من فعل أصحاب النبي ﷺ، لكن علىٰ غير هذه القسمة، وكان السلف يختلفون في ذلك، وليس المعنىٰ فيه تعبديًا وإنما هو لتيسير أخذ القرآن.

هل يمكن أن تتعدد أسماء سور القرآن، وكيف تم تسمية سور القرآن؟

كانت أسماء السور معروفة في زمان النبي ﷺ، وقد وردت أحاديث كثيرة فيها أسماء للسور، ووردت روايات كثيرة عن الصحابة، وفيها أنهم كانوا يعرفون السور بأسمائها.

وتنقسم السور من حيث التسمية إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما ثبت عن النبي ﷺ، وهذا كثير، ومن أمثلته: عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه. اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان -أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف- تحاجان عن أصحابهما»**.

«اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة» [رواه مسلم: (٨٠٤)].

القسم الثاني: ما ثبتت تسميته عن الصحابي، ومثال ذلك ما رواه البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال: «قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الحشر. قال: قل: سورة بني النضير» [رواه البخاري: (٤٠٢٩)].

القسم الثالث: تسمية من دون الصحابي إلىٰ وقتنا هذا، وغالب تسمياتهم تأتي حكاية لبداية السورة؛ كقولهم: سورة (أرأيت)، سورة (لم يكن)، وهكذا؛

حيث إنه لم يرد النهي عن تسمية السور بأسماء تدل عليها، وعلىٰ هذا مضىٰ السلف والخلف.

ومما يحسن علمه أن بعض السور لها أكثر من اسم، وكل هذا واسع، فقد تكون تلك التسميات مما ثبت عن النبي ﷺ، أو مما أخذ عنه وعن الصحابة، أو مما اجتهد العلماء فيه.

فسورة الفاتحة -مثلًا- تسمىٰ: (الفاتحة - أم الكتاب - السبع المثاني - الرقية)، وسورة الإسراء تسمىٰ: (سورة بني إسرائيل)، وسورة غافر تسمىٰ بسورة (المؤمن)، وسورة محمد تسمىٰ بسورة (القتال)، وهكذا.

وأما ما تراه مذكورا في فواتح السور في مصاحف المسلمين من أسمائها؛ فذلك مما زاده كتاب المصاحف تعريفًا بالسورة، كما زادوا ذكر المكي والمدني وعدد آي السورة، ولم يكن شيء من ذلك موجودًا في المصاحف العثمانية، فليست تلك التسمية جزءًا من المصحف.

* مراجع إثرائية:

أسماء سور القرآن وفضائلها، د. منيرة الدوسري، ط. دار ابن الجوزي.

هل لبعض سور القرآن وآياته فضائل خاصة؟

ورد عن النبي ﷺ ما يدل علىٰ أن لبعض السور والآيات فضائل خاصة، وذلك إما بذكر أجر يترتب علىٰ قراءتها، وإما بقصد قراءتها في وقت معين، وإما بيان أثرها الحسي والمعنوي علىٰ المسلم.

والملاحظ أن **السور التي ورد لها فضائل أقل من السور التي لم يرد فيها فضائل**، والقرآن كله فاضل باعتبار أنه كلام الله، وباعتبار فصاحته وبيانه، وغير ذلك من أوجه تفضيله.

وبما أن الأصل في التفضيل النقل عن النبي ﷺ؛ فإنه يحرم الكذب فيها كما حصل من بعض الزهاد الذين أرادوا الترغيب بالقرآن فاعتمدوا الكذب في هذا الباب، والعياذ بالله.

ومن السور التي ثبت لها فضل:

١- سورة الفاتحة، وهي **أعظم سور القرآن**، عن أبي سعيد بن المعلىٰ، قال: مر بي النبي ﷺ وأنا أصلي، فدعاني فلم آته حتىٰ صليت ثم أتيت، فقال: «**ما منعك أن تأتيني؟**» فقلت: كنت أصلي، فقال: «ألم يقل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] ثم قال: ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد؟» فذهب النبي ﷺ ليخرج من المسجد فذكرته، فقال: «**الحمد لله رب العالمين. هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته**» [رواه البخاري: (٤٧٠٣)].

٢- سورة البقرة وآل عمران، عن أبي أمامة الباهلي، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه،**

اقرءوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة» [رواه مسلم: (٨٠٤)].

ومنها: سورة الملك، والإخلاص، والكافرون، والأعلىٰ، والغاشية.

وكما أن لبعض السور فضائل خاصة، **فلبعض الآيات فضائل كذلك**، وأعظم آية في القرآن هي آية الكرسي، ومن الآيات التي لها فضائل: خواتيم سورة البقرة.

*** مراجع إثرائية:**

١- فضائل القرآن وسوره وآياته، د. فاروق حمادة، دار القلم.

٢- فضائل القرآن، د. عبد السلام الجار الله، ط. دار التدمرية.

ما المقصود بموضوعات السور ومقاصدها، وما أثر معرفة ذلك؟

هناك تقارب شديد بين موضوعات السور ومقاصدها، فلكل سورة من القرآن مقصد وغاية، أي: مغزىٰ ترجع إليه معاني السورة ومضمونها، ويمثل روحها الذي يسري في جميع أجزائها.

وقد يكون المقصد هو نفس موضوع السورة، وقد يختلف المقصد عن الموضوع، بأن يكون للسورة الواحدة عدد من الموضوعات، وهذه الموضوعات ترجع إلىٰ مقصد واحد.

ومعرفة موضوعات السورة، ومقصدها، من أهم المعينات علىٰ تدبر السورة، وإدراك إعجازها، لأنك تجد أن السورة علىٰ اختلاف موضوعاتها تؤدي إلىٰ هدف واحد في تناسق لا بد أن يحكم الناظر فيه استحالة أن يكون هذا الكلام من صنع البشر.

كما أن البحث عن موضوعات السورة، ومقصدها، لا بد منه من إدراك معانيها، وإدراك المناسبات بين الآية، وإدراك المناسبة بين السورة وما قبلها وما بعدها، وهذا كله يجعل القارئ للقرآن أكثر انتباهًا لما يتلوه، وأشد استحضارًا لما يفهمه.

ومن الكتب المهمة في هذا المضمار:

١- أسماء سور القرآن، وفضائلها، د. منيرة الدوسري، دار ابن الجوزي، وهو أهم كتاب في بابه.

٢- النبأ العظيم، د. محمد دراز، مركز تفكر.

٣- محتويات سور القرآن الكريم، للشيخ أحمد الطويل، دار الوطن.

٤- دلائل النظام، للمعلم الفراهي.

٥- البرهان في تناسب سور القرآن، للإمام ابن الزبير الغرناطي، دار ابن الجوزي.

٦- التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، د.فاضل السامرائي، دار ابن كثير.

ومن التفاسير التي اعتنت بإبراز هذه الجوانب:

١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام البقاعي.

٢- التحرير والتنوير، للإمام الطاهر ابن عاشور.

٣- في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب.

٤- موسوعة التفسير الموضوعي، جامعة الشارقة.

ما عدد آي القرآن المجيد؟

اختلف العلماء في عد آي القرآن، والخلاف فيه محتمل مقبول؛ لأنه لا أثر له في أصل القرآن، وإنما يقع أثره في أمور، منها:

١- أن الوقف علىٰ رأس الآية سنة عند بعض العلماء، ومعرفة مكانه يعين علىٰ تطبيق هذه السنة.

٢- أن لها تعلقا ببلاغة القرآن، حيث إن الوقف علىٰ رأس الآية -ولو كان ما بعدها متعلقا بها من جهة المعنىٰ- مقصد من مقاصد المتكلم، وإلا فما فائدة رأس الآية، لذا فإن من يقف علىٰ رؤوس الآي التي تتعلق بما بعدها، فإنه يستجلب ذهنك للتفكير والتدبر في هذه الجملة التي انقطع فيها المبتدأ عن الخبر، وشبه الجملة عن متعلقه . . . إلخ.

وكان الصحابة ﷺ يتعاملون به في تقدير زمن بعض الأمور المتعلقة بتوقيت الصلاة، وتنسب مذاهب علم عد الآي إلىٰ جماعة من كبار علماء القراءة في أمصارهم، وتروىٰ بالأسانيد المتصلة إليهم.

والمذاهب المشهورة في علم العدد ستة هي: العدد المدني الأول، والعدد المدني الثاني، والمكي، والبصري، والشامي أو الدمشقي، والكوفي.

وسأذكر عدد آي القرآن في كل مذهب من المذاهب الستة:

١- العدد المدني الأول: (٦٢١٧).

٢- العدد المدني الثاني: (٦٢١٤).

٣- العدد المكي: (٦٢١٩)، وقيل: (٦٢٢٠).

٤- العدد البصري: (٦٢٠٤).

٥- العدد الدمشقي: (٦٢٢٦)، وقيل: (٦٢٢٧).

٦- العدد الكوفي: (٦٢٣٦).

وتنقسم سور القرآن من حيث الاتفاق والاختلاف في عد آيها إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما لم يختلف فيه لا في إجمال ولا في تفصيل، وهو أربعون سورة، منها: سورة: (يوسف - النحل - الأحزاب - الحجرات - التغابن).

القسم الثاني: ما اختلف فيه تفصيلا (موطن الآي) لا إجمالًا (عدد الآي جملة)، وهو أربع سور: (القصص - العنكبوت - الجن - العصر).

القسم الثالث: ما اختلف فيه إجمالًا وتفصيلًا، وهو بقية السور (سبعون سورة).

*** مراجع إثرائية:**

الميسر في علم عد الآي، د. أحمد خالد شكري، ط. معهد الإمام الشاطبي.

ما الحكمة من تكرار قصص القرآن الكريم؟

إذا رحنا نعدد الفوائد التي يضفيها هذا الأسلوب علىٰ مجمل ما في القرآن الكريم لعددنا شيئا كثيرا، ولكنا نذكر ههنا بعض هذه الفوائد:

١- زيادة بعض التفاصيل التي لم تذكرها الآيات من قبل.

٢- تأكيد التحدي الذي جاء به القرآن لمشركي العرب أن يأتوا بشيء من مثله، فقد كشف هذا التنوع في العبارة عن عجزهم عن الإتيان بمثله بأي نظم جاء، وبأي عبارة عبَّروا.

٣- إذهاب السآمة والملل عن القصة، وذلك أن العرض الجديد يشد الأسماع، ويلفت الأنظار، ويبقي صلة المتعة والفائدة بين القارئ والنص المقدس.

٤- ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنىٰ واحد، وقد كان المشركون في عصر النبي ﷺ يعجبون من اتساع الأمر في تكرير هذه القصص والأنباء مع تغاير النظم، وبيان وجوه التأليف، فعرفهم الله -سبحانه- أن الأمر بما يتعجبون منه مردود إلىٰ قدرة من لا يلحقه نهاية، ولا يقع علىٰ كلامه عدد.

٥- التناسق مع الموضوع والمناسبة التي وردت القصة لأجلها، فأحيانا تقتضي هذه المناسبة إبراز معنىٰ في الحوار الدائر لم يكن من الضروري إبرازه في مناسبة أخرىٰ وردت فيها القصة، وهذه الفائدة باب واسع من أبواب اكتشاف بحور بلاغة القرآن وإعجازه، وأمثلتها التفصيلية موجودة في بطون كتب التفسير.

* **مراجع إثرائية:**

١- دعوة الرسل، للشيخ محمد أحمد العدوي، اعتناء: عمرو الشرقاوي، ط. مركز تفكر.

٢- القصص القرآني، د. صلاح الخالدي، ط. دار القلم.

هل قصة يوسف ﷺ هي أعظم قصص القرآن؟

اشتهر بين الناس أن أفضل قصة في القرآن قصة يوسف ﷺ، وهو غلط.

وإن أفضل قصص القرآن قصة موسىٰ ﷺ.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، فليس المراد به قصة يوسف وحدها، بل هي مما قصه الله، ومما يدخل في أحسن القصص.

ومعلوم أن قصة موسىٰ ﷺ وما جرىٰ له مع فرعون وغيره، أعظم وأشرف من قصة يوسف، ولهذا هي أعظم قصص الأنبياء التي تذكر في القرآن.

وقد تكررت قصة موسىٰ ﷺ في القرآن، وبسطت أكثر من غيرها.

بل إن قصص سائر الأنبياء، كنوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم، أعظم من قصة يوسف، ولهذا كرر الله تعالىٰ تلك القصص، ولم يكرر قصة يوسف.

وهذا مما يدعو المؤمن إلىٰ النظر في تلك القصص، وتأملها.

فما فعلته الأنبياء من الدعوة إلىٰ توحيد الله وعبادته ودينه، وإظهار آياته وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، ومجاهدة المكذبين لهم، والصبر علىٰ أذاهم؛ هو أعظم عند الله، ولهذا كانوا أفضل من يوسف -صلوات الله عليهم أجمعين-، وما صبروا عليه وعنه أعظم من الذي صبر يوسف عليه وعنه، وعبادتهم لله وطاعتهم وتقواهم وصبرهم بما فعلوه، أعظم من طاعة يوسف وعبادته وتقواه، وأولئك هم أولوا العزم الذين خصهم الله بالذكر في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

وهم يوم القيامة الذين تطلب منهم الأمم الشفاعة، وبهم أُمر خاتم الرسل أن يقتدىٰ في الصبر فقيل له: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، فقصصهم أحسن من قصة يوسف.

فعلىٰ المؤمن أن ينظر في قصص الأنبياء، وأن يعتبر بها، وأن ينزل ما جرىٰ لهم علىٰ حاله؛ فإنهم خير العالمين، وصفوة الخلق، وهم الذين أمر الله بالاقتداء بهم كما قال سبحانه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

* مراجع إثرائية:

مجموع الفتاوىٰ، شيخ الإسلام ابن تيمية: (١٧/١٩-٣٤).

ما المراد بالنسخ في القرآن الكريم؟

يطلق النسخ في كتب العلم علىٰ نوعين:

١- نسخ كلي: وهذا الذي يدخل في الأحكام، ولا يجري علىٰ الأخبار، وهو مراد المتأخرين من العلماء، وتعريفه عندهم: رفع حكم دليل شرعي، أو لفظه بدليل.

٢- نسخ جزئي: وهذا يدخل في الأحكام والأخبار، وهو ما يستخدمه السلف، فهم يستخدمون الكلي والجزئي، لكن المتأخرين يستخدمون الكلي فقط، ولما كانوا يستخدمون النسخ الكلي الذي لا يقع إلا في الأحكام قالوا: إن الأخبار لا يقع فيها نسخ، أما السلف فكانوا يوسعون الدائرة، فأي رفع من معنىٰ الآية يعتبرونه نسخًا، ويدخل في ذلك تخصيص العام، وتقييد المطلق، وبيان المجمل.

وقد اتفق العلماء علىٰ وقوع النسخ في القرآن المجيد، وذكروا لوقوعه عدة فوائد، من أهمها:

١- التدرج في الأحكام علىٰ الأمة حتىٰ لا تنفر ويسهل عليها تقبله، كما حصل في تشريع تحريم الخمر، واستخدام هذا الأسلوب في الدعوة، فالداعي يبدأ مع المدعو بالتدرج وتعليقه بالدار الآخرة وزرع الإيمان في قلبه، ثم يخبره بأحكام الإسلام شيئًا فشيئًا.

٢- بيان رحمة الله بهذه الأمة؛ فهو سبحانه يراعي أحوال الناس وعاداتهم ويتدرج معهم رحمة بهم حتىٰ لا ينفروا من الإسلام، بل يحببهم به حتىٰ يكونوا من أهله.

٣- التذكير بنعمة الله لاسيما في بعض أنواع النسخ الذي يكون فيها النسخ من أثقل إلىٰ أسهل كما هو الحال في عدة المتوفاة عنها زوجها وغير ذلك.

٤- إرادة الخير بهذه الأمة، فإن النسخ إن كان إلىٰ ما هو أخف ففيه سهولة ويسر، وإن كان إلىٰ ما هو أثقل ففيه زيادة الثواب والأجر.

٥- يقع في النسخ تطييب نفس رسول الله ﷺ ونفوس أصحابه بتمييز هذه الأمة علىٰ الأمم وإظهار فضلها، ومثاله قصة نسخ استقبال القبلة، حيث كانت حين فرضت الصلاة إلىٰ بيت المقدس، ثم حولت إلىٰ الكعبة.

لهذا كان النسخ من محاسن القرآن لا من مطاعنه.

ومن طعن في النسخ، فهو طعن في جميع الشرائع المنزلة، لأن النسخ واقع فيها جميعًا.

والقرآن ينسخ بالقرآن باتفاق العلماء، واختلفوا في نسخ القرآن بالسنة.

ويقع النسخ في القرآن علىٰ وجوه:

١- نسخ الحكم، وبقاء التلاوة: فتبقىٰ الآية في المصحف، ولكن لا يعمل بها، مثاله: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥]، نسخ بقوله تعالىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]، ونسخ بالرجم.

٢- نسخ التلاوة، مع بقاء الحكم: وهذا النوع قليل الوجود في النصوص المنقولة إلينا، وثبوت حكمه مع نسخ تلاوته إنما عرف عن طريق النقل الثابت، ومثاله: عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «إن الله بعث محمدًا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشىٰ إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله، ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله» [رواه البخاري: (٦٨٢٩)، ومسلم: (١٦٩١)].

ومن الناس من ذهب إلىٰ رد وجود هذا النوع من النسخ، وتعرض لبعض الأحاديث الواردة بذلك بالتضعيف، ولأخرىٰ بالتأويل، ولم يتعرض لطائفة أخرىٰ

منها وهي ثابتة صريحة، كهذا الذي ذكرت، والصواب ما بينت من ثبوت هذا النوع من النسخ، واندراجه تحت القول بصحة النسخ، وهذا أصح مسلكًا من رد الصحيح الثابت بغير حجة مع إمكان حمله علىٰ معنىٰ صحيح.

٣- نسخ التلاوة والحكم

وهو نوعان:

الأول: ما بلغنا لفظه أو موضوعه، كما في حديث عائشة ﵂ قالت: «كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات».

والثاني: ما بلغنا مجرد الخبر عنه ورفع منه كل شيء، كما في حديث زر بن حبيش قال: قال لي أبي بن كعب: «كأين تقرأ سورة الأحزاب؟ أو كأين تعدها؟ قال: قلت له: ثلاثا وسبعين آية، فقال: قط؟ لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة».

وانظر هذه المحاضرة المفيدة، الرد علىٰ من أنكر وقوع النسخ في القرآن، للشيخ د. الشريف حاتم: https://goo.gl/BMrzTk

وقد ذكر فيها الأدلة علىٰ وقوع النسخ في القرآن، ومنها:

١- الآيات التي وقع فيها النسخ (الوقوع الفعلي).

٢- الإجماع المنعقد علىٰ وقوعه.

٣- الآيات الدالة علىٰ وقوع النسخ.

كما رد علىٰ شبهات المنكرين للنسخ، وبين بطلان أقوالهم.

*** مراجع إثرائية:**

١- النسخ في القرآن، د. مصطفىٰ زيد، ط. دار اليسر.

٢- الآيات المنسوخة، د. عبد الله الأمين الشنقيطي، ط. مكتبة ابن تيمية.

ثالثًا: إعجاز القرآن

«الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يصنع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولًا كاملًا، ثم تعطىٰ لآخر نظيره فيأخذها بقريحة جامة فيبدل فيها وينقح ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل.

وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد.

ونحن تبين لنا البراعة في أكثره ويخفىٰ علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام».

(ابن عطية)

ما المراد بالإعجاز في القرآن الكريم؟

إن القرآن الكريم هو أعظم آيات النبي ﷺ، وقد تحدىٰ الله به العرب، فعجزوا عن الإتيان بمثله، بل ولا الإتيان بسورة من مثله.

والوجه الذي وقع به التحدي هو الإتيان بمثل القرآن في نظمه، وبلاغته، أي: في لغته، لأن هذا هو ميدان العرب الحقيقي.

والمقصود أن الذي ينتظم -من وجوه الإعجاز المحكية- في كلِّ سورة من سور القرآن، ولا يتخلف عن واحدةٍ منها؛ هو ما يتعلق بالنظم العربي، وهو المتحدَّىٰ به، دون ما سواه من أنواع الأوجه المحكية في إعجاز القرآن.

أريد مثالًا على إعجاز القرآن الكريم

إن التعامل مع القرآن الكريم يحتاج إلىٰ تجرد، وصدق في طلب الحق، ونحن نرىٰ من صدق في طلب الحق يقوده القرآن إلىٰ الإيمان بالله والتصديق بكلامه.

ونحن نبين -إن شاء الله تعالىٰ- شيئًا من إعجاز القرآن في هذه السورة المباركة، سورة الكافرون، وكيف أنها مع وجازتها حوت من المعاني الشيء الكثير، والكثير جدًا، وسنجعل هذه الفوائد علىٰ هيئة نقاط ليتضح لك الأمر.

يقول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١-٦]

وهذه السورة الكريمة، جمعت التوحيد العملي، فهي سورة البراءة من الكافرين.

١- افتتحها الله بقول (قل) ليبين أن أمر الدين ليس بيد أحد، ولو كان محمدًا ﷺ، بل الدين لله، منه وإليه.

٢- ثم يأتي النداء (يا أيها)، الذي يستدعي إقبال المنادىٰ، وانتباهه إلىٰ ما يقال.

٣- جمع الله ﷻ في الآية الأولىٰ بين عدة أصناف في وصف واحد، فجمع بين كل من لم يؤمن برسول الله ﷺ، لأنهم جميعًا يشتركون في وصف الكفر، فهذه آية واحدة تتحدث عن الكافرين من مشركين، ويهود، ونصارىٰ، وبوذيين، وغيرهم.

٤- ثم أمر الله نبيه أن ينفي عبادته لآلهة المشركين في الحاضر، فقال ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾، أي: الآن.

٥- وأن ينفي عبادته لآلهة المشركين في المستقبل، فقال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾

٦- وفي مقابل نفي عبادته لآلهة المشركين في الحاضر، جاء إثبات الشرك لهم في الحاضر، في قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾، وفي مقابل نفي عبادته لآلهتهم في المستقبل قال: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾.

٧- وعبر عن الله تعالىٰ المعبود بـ «ما»، والتي تعني في هذا السياق المعبود الموصوف بكونه أهلًا للعبادة، ولم يعبر بـ «من» التي لا تفيد هذا المعنىٰ.

تنبيه: «ما: تستخدم للعاقل وغيره، وتطلق علىٰ العاقل ويراد بها: التفخيم والتعظيم، أما «من» فلا تستخدم إلا للعاقل.

٨- وقدم قوله ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾ علىٰ قوله ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ ليشعرهم بسوء اختيارهم، وعسير عاقبتهم، وليخبرهم أنه اختار النصيب الأوفر، والحظ الأفضل.

وفيه مطابقة أول السورة مع آخرها.

٩- في السور عدة أساليب، منها: الأمر، والنداء، والنفي، واستخدام الجملة الفعلية، واستخدام الفعل المضارع، واسم الفاعل، والدلالة علىٰ الحال، والدلالة علىٰ الاستقبال، وأسلوب التقديم والتأخير، وغيرها من الأساليب التي اجتمعت في سورة عدد آيها (٦) آيات!

١٠- وفي السورة بيان لشجاعة النبي ﷺ، حيث خاطبهم بما يكرهون، وتبرأ منهم، ولم يخش أحدًا إلا الله الذي عصمه من شرهم ومكرهم.

تلك عشرة كاملة، وإن أردت بيانًا وزيادة زدناك، والله يؤتي فهم كتابه من يشاء، ويفتح عليه بما شاء.

*** مراجع إثرائية:**

١- إعجاز القرآن بين ابن تيمية والباقلاني، د. محمد العواجي، ط. دار المنهاج.

٢- كتب الدكتور فاضل السامرائي، ط. دار ابن كثير.

هل في القرآن ما يسمى بالإعجاز العلمي؟

لا شك أن القرآن الكريم جاء بما يعجز البشر عن الإتيان بمثله، وما يسمىٰ الآن (الإعجاز العلمي) بصورته الحالية، فيه خلل كبير من الناحية الشرعية، ومن الناحية التجريبية كذلك، وأكثر التفسير الواقع بالإعجاز العلمي هو محض جهل وتخرص، وعدم مراعاة لحقوق السلف وتفسيرهم مع الخلل الشديد في تطبيق العلم التجريبي علىٰ نصوص الوحي.

والحاصل: أننا نثبت أصل الإعجاز العلمي، لكننا نحذر من الإسراف المغالي في حمل الآية علىٰ مكتشف أو نظرية أو ما يدعىٰ أنه (علمي)، ثم إن ما ثبت، وهو قليل جدًا، ليس مركزيًا في الاحتجاج القرآني علىٰ الإعجاز.

ومن الخلل الموجود عندهم تصحيح بعض الموضوعات والأحاديث الضعيفة جدًا لكي تقوىٰ حجتهم، ومن العجب أنهم يقولون أن تضعيف العلماء لها، إنما حصل لأجل عدم علمهم بالمكتشف الجديد!

ولو تأملت أكثر الذين اهتدوا بسبب الكتاب، ستجد أنهم لا يذكرون (الإعجاز العلمي) إلا علىٰ سبيل الندرة!، بل بعضهم يهتدي بمجرد السماع، وبعضهم بفهم المعاني، وأسباب كثيرة ليس الإعجاز منها!

وكما لا يرضىٰ أهل الإعجاز العلمي بما عند المفسرين من تفسير كل ظواهر الكون التي أثبت البحث التجريبي المعاصر خطأها، فإن المفسرين لا يرضون لكل واحد من الباحثين التجريبيين أن يوافق بين البحث التجريبي وما ورد في القرآن.

ونسوق نصًا للعلامة د. محمد دراز، يقول فيه: «القرآن في دعوته إلىٰ الإيمان والفضيلة، لا يسوق الدروس من التعاليم الدينية والأحداث الجارية وحدها، وإنما يستخدم في هذا الشأن الحقائق الكونية الدائمة، ويدعو عقولنا إلىٰ تأمل قوانينها الثابتة -لا بغرض دراستها وفهمها في ذاتها فحسب- وإنما لأنها تذكر بالخالق الحكيم القدير»، ويقول: «دفع الحماس بعض المفسرين المحدثين إلىٰ المبالغة في استخدام هذه الطريقة التوفيقية لصالح القرآن، بحيث أصبحت خطرًا علىٰ الإيمان ذاته؛ لأنها إما أن تقلل من الاعتماد علىٰ معنىٰ النص باستنطاقه ما لا تحتمله ألفاظه وجمله، وإما أن تُعوِّل أكثر مما يجب علىٰ آراء العلماء وحتىٰ علىٰ افتراضاتهم المتناقضة أو التي يصعب التحقق من صحتها، وبعد أن نستبعد هذه المبالغات عن البحث، نرىٰ أن من مقتضيات الإيمان التي لا غنىٰ عنها أن نضاهي الحقائق الفورية التي نجدها في القرآن مع نتائج العلماء المنهجية البطيئة».

وانظر هذه المقالة، لتتبين منهج التعامل مع النصوص المتعلقة بالإعجاز العلمي، (يخرج من بين الصلب والترائب) بين دعاوىٰ الإشكال والاقتباس والإعجاز العلمي!، د. حسام الدين حامد: https://goo.gl/yiqGvZ

وفي حد علمي: لا يوجد كتاب متقن في مسألة الإعجاز العلمي، ومن الكتب التي يمكن الولوج إلىٰ الموضوع من خلالها:

١- الإعجاز العلمي إلىٰ أين، د. مساعد الطيار.

٢- منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية علىٰ النبوة والربوبية، د. سعود العريفي.

٣- التفسير العلمي التجريبي، د. عادل الشدي.

٤- النظريات العلمية الحديثة، د. حسن الأسمري.

هل في القرآن ما يسمى بالإعجاز العددي؟

سأجيب عن السؤال في عدة نقاط لئلا يتشتت الكلام:

١- البحث في العدد وأسراره له سلف من فعل الصحابة والأئمة، وهو -وإن كان قليلًا- إلا أنه لم يكن متكلفًا، ودلالة الآيات عليه ظاهرة.

٢- ظهر التكلف فيما سمي متأخرًا بالإعجاز العددي، وبدا هذا التكلف عند من تزعم هذا الأمر، واتخذته بعض الفرق الباطنية ذريعة وسندًا لآرائهم وضلالاتهم.

٣- افتقر هذا النوع من الدراسات إلىٰ المنهجية العلمية، ووقع الخبط والخلط فيه ظاهرًا بين من يدعون البحث فيه، ولا أَدَلَّ علىٰ ذلك من تخطئة بعضهم بعضًا في قضايا كثيرة من أبرزها قضية الحادي عشر من سبتمبر، وعلاقة سورة (التوبة) بها!

٤- لم ينتبه من تكلم في الإعجاز عمومًا إلىٰ كون القرآن كتاب هداية، وإن شئت فارجع إلىٰ كتاب الشيخ مساعد الطيار في الإعجاز ففيه إشارات نفيسة.

٥- الإعجاز العددي ليس من متين العلم، وإنما هو من باب اللطائف والملح.

كأن يقول قائل: «إن من اللطائف في سورة (الكوثر) أن عدد الكلمات الظاهرة في السورة عشر كلمات، وهذا يوافق اليوم العاشر من شهر الحج (شهر ذي الحجة)، وهذا من لطائف السورة، لكنه لا يدخل في حد الإعجاز، وليس من متين العلم، والله أعلم».

وأخيرًا، **فبدراسة كثير من الكتب التي اهتمت بهذا اللون، فيمكننا أن نقرر أن هذه الفكرة تقوم باعتماد شروط توجيهية حينًا، وانتقائية حينًا آخر، من أجل إثبات صحة وجهة نظر بشكل يسوق القارئ إلىٰ النتائج المحددة سلفًا**، وقد أدت هذه الشروط التوجيهية أحيانًا إلىٰ الخروج علىٰ ما هو ثابت بإجماع الأمة، كمخالفة الرسم العثماني للمصاحف، وإلىٰ اعتماد رسم بعض الكلمات كما وردت في أحد المصاحف دون الأخذ بعين الاعتبار رسمها في المصاحف الأخرىٰ، وأدت كذلك إلىٰ مخالفة مبادئ اللغة العربية من حيث تحديد مرادفات الكلمات وأضدادها، إلىٰ آخر التخبط والاختلاف الذي جر إليه زعم وجود الإعجاز العددي بهذه الصورة المعاصرة، ولذا ننصح بالابتعاد عنه.

مثال للخطأ والتحكم في مسألة الإعجاز العددي:

قال أحدهم: «ورد اليوم مفردًا (٣٦٥) مرة بعدد أيام السنة».

وإذا ما نظرنا فيما جمع وجدناه جمع لفظي «اليوم» و«يومًا»، وترك «يومكم»، «يومهم»، «يومئذ»؛ لأنه لو فعل لاختلف الحساب والعد.

رابعًا: التفسير والتدبر والتأثر

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة ص: ٢٩]

هل يحق لكل أحد أن يفسر القرآن؟
وما الفرق بين التفسير والتدبر؟

هذا السؤال من أهم الأسئلة التي ينبغي التوقف عندها، ولأجل ذلك، سأحاول الإجابة عليه بصورة واضحة، ولا بأس إن طالت الإجابة قليلًا، فأقول:

التفسير هو بيان معاني القرآن العظيم، وهذا البيان إما أن يصل إليه المفسر اجتهادًا، وإما أن يصل إليه تقليدًا.

والاجتهاد علىٰ قسمين:

١- الاجتهاد في بيان المعنىٰ المراد من الآية، وأئمة المجتهدين هم الحجة من الصحابة والتابعين وأتباعهم.

٢- أن يجتهد في التخير من أقوال المجتهدين السابقين، أو بناء الأقوال علىٰ أقوالهم، وهم علىٰ طبقات شتىٰ، ومن أجلهم الإمام ابن جرير، وابن عطية، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وكثير غيرهم.

وتكاد كلمة العلماء تتفق علىٰ أهمية علم التفسير، وأنه من أعوص العلوم، ويقصدون بذلك حقيقة كيفية الوصول للمعنىٰ من الآيات، وأنه يحتاج إلىٰ آلات قد لا تتيسر للإنسان إلا بجهد جهيد.

فالتفسير علم عظيم، خطير، جليل، وهو من أعوص علوم الشريعة، لا كما يُظَن، ومُتعَلَّقُه كلام الله تعالىٰ، وهو شرح له وبيان عن معانيه وأحكامه، قدر الطاقة البشرية.

ومن ثم فإن مسؤوليته عظيمة، والكلام فيه بغير علم كاف وتحقيق تام من الافتراء علىٰ الله، والقول عليه بغير علم، ولذا كان كثير من السلف، أصحاب الفهوم الصحيحة، والألسن الفصيحة، يتورعون عن الكلام فيه بحرف، ويقولون الله أعلم بما قال، وما عندهم من العلم في القرآن أعظم مما عند أكبر كابر في الخلف.

وكثير من الناس يظن أن التفسير مجرد (تأليف)، وكتابة إنشاء حلوة حول الآيات، كتفسير نص شعري، ولربما سماه تأملًا، أو خواطر، وغير ذلك، ولا يغني هذا عن التبعة المذكورة.

أما التدبر فأقرب ما يمكن أن يقال في تعريفه، أنه (تأمل القرآن بقصد الاتعاظ والامتثال)، أو (الوقوف مع الآيات والتأمل فيها، والتفاعل معها؛ للانتفاع والامتثال).

وهذا التدبر لا بد أن يسبقه فهم للمعنىٰ المراد من الآية، إذ محل التدبر مدلولات الآيات.

وعليه، فيمكن التفريق بين التدبر والتفسير من عدة وجوه:

١- أن التفسير هو كشف المعنىٰ المراد في الآيات، والتدبر هو ما وراء ذلك من إدراك مغزىٰ الآيات ومقاصدها، واستخراج دلالاتها وهداياتها، والتفاعل معها، واعتقاد ما دلت عليه وامتثاله.

٢- أن التدبر أمر به عامة الناس للانتفاع بالقرآن والاهتداء به، ولذلك خوطب به ابتداءً الكفار في آيات التدبر، والناس فيه درجات بحسب رسوخ العلم والإيمان وقوة التفاعل والتأثر.

وأما التفسير فمأمور به بحسب الحاجة إليه لفهم كتاب الله -تعالىٰ- بحسب الطاقة البشرية، ولذا فإن الناس فيه درجات.

٣- أن التدبر لا يحتاج إلىٰ شروط إلا فهم المعنىٰ العام مع حسن القصد وصدق الطلب، ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، أما التفسير فله شروط ذكرها العلماء، لأنه من القول علىٰ الله، ولذا تورع عنه بعض السلف.

ومما ينبغي أن يُعلم أن الناس علىٰ درجات متفاوتة في التدبر بحسب آلاتهم وإمكاناتهم، فليس تدبر العالم المتبحر في الشريعة كتدبر العامي، ولكل درجات، والله يهدي من يشاء إلىٰ صراطٍ مستقيم.

علىٰ أن كثيرًا من الناس قد يتجرأ علىٰ كتاب الله -تعالىٰ- فيفسره بمعهود قومه، أو بما يهجم علىٰ خاطره من المعاني، وقد يسمي ذلك خواطر أو تأملات أو تدبر أو غير ذلك، وهذا من الخطأ ومجانبة للصواب.

فلا بد من العلم أن الله تعالىٰ حين شرع التدبر للناس لم يشرع لهم أن يتجرؤوا علىٰ كتابه، بل هذا أمر لهم بتحصيل الآلة المعينة علىٰ تدبر القرآن.

والتأثر بالقرآن يحصل للمتدبر، وقد لا يحتاج الإنسان لكي يتأثر بالقرآن إلىٰ تأمل عقلي، أو حتىٰ إلىٰ معرفة عميقة بالدلالات، بل إن بعض المشركين، وبعض الأعاجم يقع عنده من التأثر بالقرآن مع عدم معرفة المعنىٰ، إذ للقرآن سطوة علىٰ النفوس!

تنبيه مهم:

هناك فرق بين التفسير وبين المعلومات الموجودة في كتب التفسير، **فليس كل معلومة موجودة في كتب التفسير هي من صلب علم التفسير**، إذ كل علم له بالقرآن تعلق، وقد يستطرد المفسر في علم برع فيه، فيتكلم عليه في سياقات كلامه عن الآيات، وقد يذكر بعض اللطائف والفوائد وغير ذلك.

وهذه اللطائف والفوائد هي في الحقيقة نوع من التدبر للقرآن المجيد.

*** مراجع إثرائية:**

١- أول أتدبر، د. نايف الزهراني.

٢- القواعد والأصول، وتطبيقات التدبر، د. خالد السبت، ط. الحضارة.

٣- الخلاصة في تدبر القرآن، د. خالد السبت، ط. الحضارة.

نسمع عن لون من ألوان التفسير يسمى (التفسير الإشاري) فما معناه، وما حكمه؟

مصطلح التفسير الإشاري يطلق علىٰ معانٍ، بعضها حق، وكثير منها باطل.

فأما الحق الذي فيه، فهو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأهل العلم بالقرآن، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد.

وأما التفسير الباطني/الصوفي/الإشاري، فإن كل هذه المصطلحات تدل علىٰ نوع من التفسير يمثل جانبًا مشكلًا في علم التفسير، وهو في حقيقته خارج عن حد التفسير؛ لأنه يأتي بعد بيان الآية أو بعد معرفة ظاهرها، وبعضه حق، وكثيرٌ منه باطل.

وعموم هذا اللون من التفسير يخضع لمبدأ حاكم، وهو:

١- استبدال مبدأ الدلالة (اللغوية) الظاهرة بمبدأ الدلالة (الرمزية) الباطنة.

٢- استبدال مبدأ (عمومية إمكان معرفة المعنىٰ) -من خلال الاعتماد علىٰ بيان قائل النص (الله)، أو مبلغه (الرسول)- بمبدأ (خصوصية معرفة المعنىٰ) عن طريق الاعتماد علىٰ علم اختص به أناس دون غيرهم، وهم:

إمَّا الأئمة المعصومون من (آل البيت)، كما عند الشيعة الإمامية أو الإسماعيلية.

أو الأولياء الذين يفتح الله عليهم، ويكشف لهم هذه المعاني الباطنة -كما عند الصوفية- عن طريق ما يُسمىٰ عندهم بـ (الكشف).

ولمزيد من المعرفة بهذه الطوائف، والمبادئ التي اعتمدوا عليها، يرجىٰ مراجعة كتاب: (العقائدية، وتفسير النص القرآني)، للباحث الأستاذ/ ياسر المطرفي.

وتعود كثير من التفاسير الإشارية وتفاسير الوعاظ وما يذكره بعض المعاصرين من فوائد الآيات إلىٰ الاستنباط.

وهذه الفوائد والإشارات علىٰ قسمين:

القسم الأول: أن تكون هذه الفوائد والإشارات صحيحة بذاتها، لا تخالف أمرا من أمور الشريعة، وهي علىٰ قسمين من حيث ربطها بالآية:

أولا: أن يكون الربط صحيحًا؛ أي: أن يكون بين الفائدة المذكورة والآية ارتباط بوجه ما.

ثانيا: أن يكون الربط بالآية غير صحيح، فالكلام باستقلاله صحيح، ولكن ربطه بالآية خطأ؛ لأن الآية لا تدل عليه.

القسم الثاني: أن تكون هذه الفوائد والإشارات غير صحيحة بذاتها، لأنها تحمل خطأ ما، وفي هذه الحال فإن ربطها بالآي خطأ قطعًا.

وهذا النوع من التفسير هو نوع من الاستنباط لا يقبل إلَّا بشروط ذكرها المفسرون لا تجد تفاسير الصحابة خارجة عنها، والشروط هي:

١- أن لا يُناقض معنىٰ الآية.

٢- وأن يكون معنىٰ صحيحًا في نفسه.

٣- وأن يكون في اللفظ إشعارٌ به.

٤- وأن يكون بينه وبين معنىٰ الآية ارتباط وتلازم، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطًا حسنًا.

وعند محاكمة تلك الاستنباطات إلىٰ هذه الشروط نجدها تتوافق مع المنقول من تفسيرات الصحابة دون توافقها مع المنقول من التفاسير الباطنية المنقولة عن الشيعة أو الإسماعيلية أو المتصوفة.

وبمعنىٰ آخر: إنَّ طريق الوصول إلىٰ الباطن في تفسير الصحابة والتابعين يكون من خلال الظاهر عن طريق دلالة التمثيل، أو دلالة الإيحاء، أو دلالات

اللغة، أو المقام، أو السياق بحيث يظهر للمطلع عليه تناسبًا بين الظاهر والباطن الذي آل إليه بخلاف التأويل عند الباطنية الذي لا يُتَوَصَّل إليه من خلال الظاهر، بل من خلال الإمام المعصوم أو الولي المكاشف، ولذلك لا تناسب بين الظاهر والباطن الذي آل إليه بتاتًا!

ولكن هذا لا يعني عدم وجود تفسيرات إشارية عند هؤلاء هي من جنس ما عند الصحابة، فهذا قد يوجد كما يوجد عند غيرهم، لكن الشأن فيما هو من خصائص تفسيرهم الذي لا وجود له عند الصحابة، فهذا النوع يحكم ببطلانه.

ومن أمثلة التفسير الإشاري عند الصحابة، ما ورد عن ابن عباس، قال: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتىٰ معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ [النصر: ١، ٢] حتىٰ ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئا، فقال لي: يا ابن عباس، أكذاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له: إذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة، فذاك علامة أجلك: فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم» [رواه البخاري: (٤٢٩٤)]

ما المراد بالأحرف المقطعة، وما قصة تفسير القرآن بالآرامية؟

الأحرف المقطعة، أحرف هجائية لا معنىٰ لها، **ومغزاها تحدي العرب**، وإخبارهم أن القرآن مؤلف من جنس هذه الحروف، ولها هدف آخر، وهو: **التشويق وإثارة الانتباه**.

والقرآن أنزل بلسان عربي مبين، وظل العلماء يفسرونه عبر مقتضىٰ لغة العرب جيلًا بعد جيل، حتىٰ طل علينا في هذه العصور من يزعم أن القرآن لا يفسر إلا عبر لغة أخرىٰ هي: الآرامية، وهي إحدىٰ اللغات السامية، والتي كانت منتشرة في فترة قديمة.

وهذا الزعم، يقتضي عدة أمور، تدعونا عند تأملها إلىٰ الانتهاء إلىٰ بطلانها، ومن مقتضياتها:

١- أن النبيَّ ﷺ وصحابته لم يفهموا القرآن علىٰ وجهه، ولا عقلوا مراد الله تعالىٰ منه، ومن باب أولىٰ من جاء بعدهم من المسلمين.

٢- أن هذا التراث الإسلامي الضخم من تفسير وفقه وحديث وأصول وغيرها كله لا قيمة له! أو علىٰ الأقل هو محل الشك والارتياب لأن أصحابه الذين أنتجوه واعتمدوا في أكثره علىٰ القرآن الكريم لم يفهموا مراد الله ولا عرفوا مقصوده، فكيف لهم أن يستنبطوا منه هذه الأحكام والمسائل وهم لم يعرفوا الآرامية، وهي الشرط عند أصحاب هذا الزعم لفهم القرآن؟ وكيف سنثق بتراثنا الفقهي المبني علىٰ الكتاب والسنةِ إذا كان أعلامُهُ لم يفهموا كلام الله؛ لأننا نعرفُ أن أكثرهم لم يدرس الآرامية ولم يشتغل بها؟

٣- ويقتضي هذا الزعمُ أن دارس الآرامية يفهم القرآن أكثر من دارس العربية المختص بها! وعندئذٍ لا معنىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾، ولا معنىٰ لأحد عشر آيةً نصتْ علىٰ عربية القرآن! بل يصدقُ عليه حينئذٍ أنه قرآن آراميٌّ غير ذي عوج!

٤- ويقتضي هذا الزعم أن نتحير في التعامل مع حديث النبي ﷺ، فما الذي سنفعله بالحديث النبويِّ الذي جاء بذات الألفاظ الموجودة في القرآن، هل سنزعمُ أيضًا أنه ذو جذور آرامية ونفسره علىٰ هذه الوجه؟ أم سنجري الحديث النبوي علىٰ مقتضىٰ العربية ونقتصر في التفسير الآرامي علىٰ القرآن الكريم فيكون لدينا معنيان متعارضانِ للفظِ الواحدِ؟ الحور العين مثلًا في الحديث النبوي هل هي العنب كذلك كما يزعمه أصحابُ المدخل الآرامي؟ وهل نتكلف تفسيرها بهذا؟ وماذا عن قوله ﷺ **«له سبعون من الحور العين»**؟ هل هي سبعون حبة عنب؟ أم سبعون عنقودًا؟ أم سبعون جفنة؟ وإذا كانت سبعين عنبة، فماذا عمن نُصّ أنه له اثنتين من الحور العين؟ هل سيكون نصيبه في الجنة عنبتينِ مثلًا؟ وهل هذا غايةُ نعيمه؟! وكيف نصنع بقوله ﷺ: **«زوجتان من الحور العين»**، زوجتانِ من العنب مثلًا؟ وقوله ﷺ في صفة الحور العين: **«ولنصيفها علىٰ رأسها خير من الدنيا وما فيها»**، والنصيف الخمار، كيف نفهمه؟ وهل تلبس العنبةُ خمارًا ثم يكون خمارها خيرًا من الدنيا وما فيها؟

هكذا يذهب بنا المدخل الآرامي إلىٰ حالة من التشظي والتفكك بين الوحيين، أو حالة من التكلف المعيب الذي لا يقبله عقل ولا منطق.

هذه كلها مقتضياتٌ مباشرةٌ، ولوازم عقليةٌ لا فكاكَ منها، فإذا أضفتَ إلىٰ ذلك إمكانيةَ أن يكون مدخلًا كما أسلفنا للطعنِ والتشكيك في كتابِ الله فإن الأمر يعظُمُ عندك ويكبُرُ.

ويمكن الرجوع لسلاسل د. سامي عامري، في بيان تلك المسألة، وهي بعنوان: (سلسلة: شبهة القراءة السريانية للقرآن . . تزييف التاريخ وتحريف اللغة)، (شبهات وسائل التواصل حول الإسلام ومقدساته)،

https://goo.gl/xiG1ij, https://goo.gl/PfwLyJ

ومقال الدكتور عادل بانعمة: (القرآن الكريم والمدخل الآرامي، تعليقات حول تفسير القرآنِ العربيّ بمقتضىٰ اللغةِ الآرامية)، https://goo.gl/gu1PyZ

ومقال: نقد دعوىٰ تفسير القرآن باللغة الآرامية، ردود متفرقة في مكان واحد)، https://goo.gl/mctUDF

لماذا أتدبر القرآن؟ وما الطريق إليه؟

إن الله يقول جوابًا عن مثل هذا السؤال، ببيان عام للناس جميعًا، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

إننا نريد من القرآن؛ الحياة!

فلا حياة للقلب، ولا سلامة له بغير الإقبال علىٰ هذا الكتاب المجيد، إن للمسلم أوصافًا يستمدها بحسب تعلقه بالقرآن، فله من المجد، والحفظ، والرحمة، والهدىٰ، والذكر، بحسب تعلقه بالقرآن تلاوة وفهمًا وعملًا، وقد وعد ربنا الأكرم من أقبل علىٰ كتابه تعرضًا لنفحاته بالكرم الجزيل، والأجر العميم.

ففي القرآن الشفاء من الأدواء القلبية المهلكة في العاجل والأجل، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [سورة ق: ٣٧].

وفي التعلق بالقرآن يجد الإنسان البصيرة التي هي النور الذي يبصر به مواضع قدمه، ومن يضلل الله فما له من هاد، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

وفي القرآن يحصل القارئ السكينة التي تنزل علىٰ القلب بردًا وسلامًا، لتطفئ النار التي تشتعل، لأنه يرىٰ في القرآن مصارع الظالمين، وإن طال الزمان، ومهلكهم الذي جعل الله له موعدًا.

إنه لا يحدثك عن القرآن وما يفعله في النفوس، مثل القرآن، ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢].

أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق، كمن هو أعمىٰ؟!

إنما يتذكر أولو الألباب.

أما التدبر، فهو تجربة تخوضها، ونعيم تتذوقه، ومهما أخبرت عنه، فلا بد أن تحياه بنفسك، إنه يبدأ من معرفة مراد الله تعالىٰ بكلامه، بفهم الكلام أولا، وبثوير هذه المعاني.

إن القرآن كالتمرة كلما زدتها مضغا أعطتك حلاوة، والقرآن يحلو كلما كررته، ولذا ينبغي عليك أن تزيد تكراره، فإن عجائبه لا تنقضي، ولا يخلق علىٰ كثرة الرد.

ليس للتدبر دروب وعرة، ولا مسالك موحشة، لأن الله يسر القرآن للناس يأخذ كل منهم بمقدار استعداده، لكن أحدا لا يجالس القرآن إلا خرج منه بشيء، ولا تزال تخرج بالشيء تلو الشيء حتىٰ تقف علىٰ ما يدهش الألباب، ويأخذ بالنفوس.

افهم المعنىٰ، وكرر الآية، ولا تستعجل، بل ازدد في الفهم، وابحث بصدق عن دواء دائك، وشفاء نفسك؛ فإنك لاقيه.

وآفة كثير من الناس انشغالهم بالحديث حول التدبر عن التدبر نفسه، فانشغلوا بالوسيلة عن الغاية، وببنيات الطريق عن واضحاته، أقبل علىٰ القرآن متأملًا، وباحثًا عن مرادك وتلمسه، تجده.

إن في القرآن الكفاية، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، اللهم اكفنا بالقرآن، ولا تسلبنا نعمته، واجعل لنا حظًا منه!

ولمن يحب الخطوات العملية:

١- لا بد من تهيئة نفسك لتدبر القرآن، وذلك بمحبة القرآن، وتعظيمه، واستشعار الافتقار لهداياته.

٢- كن مع القرآن دائمًا، تلاوة، واستماعًا، وبحثًا عن الأسئلة التي تدور في ذهنك فيه.

٣- افهم المعنىٰ من كتب التفسير، فشرط التدبر فهم المعنىٰ.

٤- استعن بالكتب التي تعينك علىٰ إدراك بعض اللطائف الموجودة في الآيات.

٥- لا تمل من إعادة وتكرار التلاوة مرة بعد أخرىٰ.

ويمكن للمتدبر أن يحدد موضوعًا، ويفتش عنه في القرآن، أو يبحث عن هداية القرآن في مسألة، أو قضية، وسيجد خيرًا عظيمًا.

هل التدبر خاص بالآيات التي تتكلم عن الدار الآخرة؟ وهل يمكن أن يتدبر الإنسان آيات الأحكام؟

اعلم -نفعك الله بما تعلم- أن القرآن نور كله، وهداية كله، ورحمة كله، وهو كتاب عظيم في حديثه عن الله، واليوم الآخر، وفي حديثه عن التشريع.

وليس التدبر يا أخي أن تدمع عينك، وأن يحضر قلبك عند آيات الآخرة -فحسب- بل إن حضور القلب، وانفعال الجوارح بالعمل بأحكام الله وشرائعه، باب عظيم من أبواب التدبر، من ولجه نال خيري الدنيا والآخرة.

وتأمل -مثلًا- ختام آيات المواريث، والآيات الأولىٰ من سورة النساء، تأمل خواتيم الآيات بالعظات الباهرات، والآيات النيرات علىٰ عظمة هذا الدين.

تأمل آية الميراث الأولىٰ، وختامها بقوله سبحانه: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾، وتأمل في أولئك الذين يتفننون في منع هذا أو ذاك من الميراث الذي جعله الله حقًا له.

بل تأمل في آية هجر النساء بعد الوعظ، ثم يأتي الضرب في مرتبة متأخرة عنهما، وتختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾، عليٌّ علىٰ من طغىٰ، وجاوز الحد مطلع عليه، كبير، لا يرضىٰ أن تظلم المرأة ولا أن تضرب ضربًا مؤذيًا لها، وتأمل في الآية التي تليها، وختمه لها باسمي العليم الخبير!

إن القرآن عظيم في كل تفاصيله، جليل في كل مفرداته، يحتاج إلىٰ إقبال وفهم، مع إيمان وحسن تلقٍ، فإذا حصل ذلك أثمرت شجرة الإيمان في القلب، وآتت أكلها بإذن ربها، وصار أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وهذا غيض من فيض، وقطرة من بحر العظمة في آيات الأحكام، وحسن نظمها وجلاله.

كيف أحب القرآن؟

بالإقبال عليه!

لابدّ من القرب من القرآن بإزالة العوائق بينك وبينه، ولتتحايل علىٰ نفسك بالاستعانة بمشوقات القلب لكلام الرب.

القرآن نور، وهدىٰ، ورحمة، وموعظة.

القرآن حياة . . .

القرآن الروح التي تغذي الأرواح، فالأرواح دون القرآن في شقاء وتعب، ونكد، وهم، فاقد للحياة.

ولا يحدثك عن القرآن إلا القرآن؛ فأقبل عليه.

اسمع القرآن من قارئ تحب صوته، واجتهد في الدعاء أن يجعل الله القرآن ربيع قلبك، واستعن بما يعينك علىٰ الإقبال علىٰ القرآن دون الاستغراق في ذلك، فاقرأ كتابيْ: (الطريق إلىٰ القرآن)، و(المشوق إلىٰ القرآن)، واسمع محاضرات الشيخ فريد الأنصاري عن القرآن.

وأول طريق التصالح مع القرآن أن تتحايل علىٰ نفسك بالإكثار من تلاوة القرآن، تلاوة لا كالتلاوات السابقة، تلاوة لا تنتظر فيها موعدًا، تلاوة لا تنشغل فيها بغير القرآن، إن القرآن كتاب عزيز لابدّ أن تعطيه أنفس ما تملك من أوقات، فأقبل عليه وإياك أن تبخل، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه!

إن القرآن لهو بحق مشروع العمر، وبرنامج العبد في سيره إلىٰ الله حتىٰ

يلقىٰ الله! وما كان تنجيم القرآن، وتصريف آياته علىٰ مدىٰ ثلاث وعشرين سنةً، إلا خدمةً لهذا المقصد الرباني الحكيم!

إن نور القرآن لا يمتد شعاعه إلىٰ الآخرين؛ إلا باشتعال قلب حامل كلماته، وتوهجه بحقائقه الإيمانية الملتهبة!

خامسًا: حفظ القرآن وتجويده

«وأما طلب حفظ القرآن: فهو مقدم علىٰ كثير مما تسميه الناس علمًا، وهو إما باطل، أو قليل النفع.

وهو أيضًا مقدم في التعلم في حق من يريد أن يتعلم علم الدين من الأصول والفروع، فإن المشروع في حق مثل هذا في هذه الأوقات أن يبدأ بحفظ القرآن، فإنه أصل علوم الدين.

والمطلوب من القرآن هو فهم معانيه، والعمل به، فإن لم تكن هذه همة حافظه لم يكن من أهل العلم، والدين، والله سبحانه أعلم».

(ابن تيمية)

هل يجب على كل مسلم أن يحفظ القرآن؟

ليس من الصواب حمل الناس جميعًا علىٰ حفظ القرآن، ولا طلب العلم، وهكذا . . .، بل لابد من توجيه المسلم لمعرفة فروض الأعيان عليه، وحفظ ما يقيم به صلاته من القرآن، مع إتقان تلاوته، والإتقان مهم جدًا.

فإن وجد من نفسه همة، فليحفظ المفصل (من سورة ق أو الحجرات وحتىٰ ختام المصحف)، مع فهم المعنىٰ، ولا يتجاوز المفصل حتىٰ يفهم معناه.

فإن فعل: انتقل إلىٰ حفظ سورتي البقرة وآل عمران، فالسور التي ثبت فضلها، فباقي المصحف.

والذي أراه يدل علىٰ هذا الأصل: ما ذكر عن الصحابة مع كونهم أحد أذهانًا، وأصفىٰ أفئدة، ومع ذلك فإن كثيرًا منهم لم يحفظ القرآن المجيد كله.

وليُعلم: أن حفظ القرآن فرض كفاية علىٰ أهل الإسلام، وحافظ القرآن يرجىٰ أن يكون له من المنزلة -إن كان من أهل القرآن- ما ليس لغيره.

والحافز الأساس: أن القرآن محفوظ، وحافظ المحفوظ محفوظ، مع ما ثبت من فضل حفظ القرآن، وكرامتهم عند الله، ليس هم فحسب، وإنما هم وآباؤهم، جعلنا الله وإياكم من أهل القرآن.

هل تجب قراءة القرآن بالتجويد على كل مسلم؟

تعلم أحكام القراءة والتجويد التي تحفظ اللسان من اللحن المفسد للمعنىٰ واجب علىٰ كل مسلم ومسلمة، كي يقرأ الفاتحة وسائر سور القرآن الكريم قراءة صحيحة في مقتضىٰ اللغة العربية الأصلية.

أما تعلم الأحكام التحسينية التي تتعلق بصفات الحروف ومخارجها وأحكامها التي لا يُؤدي الجهل بها إلىٰ إفساد المعنىٰ واللحن الجلي فهو تعلم مندوب ومستحب، وليس بواجب.

وقد أمر الله ﷻ بتدبر القرآن وفهم معانيه، وحث نبيه ﷺ علىٰ الإكثار من تلاوته لتحقيق هذا الغرض، وهذا الأخذ للقرآن تلاوة أو حفظًا أو تدبرًا لا يتهيأ علىٰ الوجه المأمور به لمن قرأ قراءة ملحونة مختلة، وفاعل هذا خارج بالقرآن عن سننه.

فضبط التلاوة سبب للتدبر وفهم القرآن، كما أنه سبب للخشوع عند تلاوته وانتفاع القلب به، وكل هذا مأمور به مطلوب إما وجوبًا وإما ندبًا، فضبط التلاوة يأخذ حكم ما كان سببا فيه.

وإذا كان اللحن منفيًا في الأصل عن القرآن، فإضافته إليه من باب تحريف الكلم عن مواضعه.

وقراءة القرآن بغير التجويد أو بغير النحو عدول به عن المسموع من رسول الله ﷺ، وخروج به عن عربيته، وهذا لا يحل.

والقراءة بالتجويد تتم بمراعاة القواعد التي وضعت من قبل الأئمة القراء، وصنفت فيها المصنفات، مع الاستعانة ما أمكن بأخذها عن صاحب دراية ومعرفة

من القراء المتقنين للتلاوة بتلك القواعد، ولا يجوز للمسلم أن يفرط في ذلك ما وجد إليه سبيلًا، فإن عجز اجتهد في الضبط بما تيسر له، بالسماع من قارئ متقن بواسطة الوسائل السمعية الحديثة، أو بأخذه من الكتب والرسائل التي ألفت فيه.

وقد بين ﷺ أن من بذل وسعه مجتهدًا في إتقان التلاوة ولم يساعده لسانه علىٰ إخراجها علىٰ وجوهها، إذ التعتعة عسر في النطق ومشقة، فهذا مأجور من جهتين: علىٰ اجتهاده في طلب الصواب، وعلىٰ نفس تلاوته.

فالأعجمي ربما لم تساعده لغته ولسانه علىٰ أن يعطي كل حرف حقه ومستحقه، ومع ذلك يثني النبي ﷺ علىٰ جلوسه لقراءة القرآن، لا ينقص حسن عمله ذلك عن حسن عمل من كان معه من العرب الفصحاء، وحثه النبي ﷺ علىٰ التلاوة وإن كانت عجمته لا تساعده علىٰ الإتقان، وإنما ذلك لصحة المقاصد من أولئك المجتمعين، ولذا ذم بمقابلهم القراء المتكلفين لإقامة الألفاظ حتىٰ إن أحدهم ليحرص علىٰ الدقة في أدائه يقيم الحرف كإقامة السهم من القوس، لكنهم يبتغون به الدنيا.

فعليه، ومع ما بيناه من وجوب القراءة بالتجويد نقول: لا يجوز أن يجعل ذلك حائلا دون قراءة القرآن لمن بذل وسعه للقراءة به لكنه لم يحققه علىٰ وجهه لعجزه.

ومن الدروس التي يمكن الاستعانة بها، تلاوات تعليمية بالفيديو لجزء عم والفاتحة للشيخ، د.أيمن رشدي سويد: https://goo.gl/7jauM1

وهناك العديد من البرامج والوسائط المختلفة لتعلم تجويد الفاتحة، وقصار السور، ويسهل علىٰ أي أحد أن ينتفع بها.

ما المقصود بالوقف والابتداء، وما أسهل الطرق لتعلمه؟

أسهل طريقة لتعلم الوقف والابتداء هي الأخذ بما وجد في المصاحف من علامات للوقف والابتداء، فينبغي علىٰ عموم المسلمين ملاحظة ما ذكر من التعريف بتلك العلامات في أواخر المصاحف، وأن يستعملوها علىٰ الصورة التي بينت لهم، فإن ذلك معين علىٰ تدبر القرآن وفهمه، خاصة ما كان منه من الوقف اللازم، فعليهم التزام الوقف عنده، وما كان من الممنوع فلا يوقف عنده، إلا ما كان منه عند رؤوس الآي، فقد بينت من قبل ما يتصل به، ويترك الوقف في موضع ليس فيه علامة وقف أصلًا.

لا أستثني من هذا إلا من أوتي حظًا من فهم القرآن، وعدة واقية من الخطأ في ضبط المعنىٰ، من أهل العلم والذكر، فهؤلاء قد يستحسنون مواضع للوقف باجتهادهم في تدبر القرآن.

ولا بد أن يراعىٰ في الابتداء صحة المعنىٰ واستقامة السياق، ولو استعمل إنسان علامات الوقف المثبتة في المصاحف في خلال الآية لا علىٰ رأسها، فوقف عند علامة من تلك العلامات غير علامة الوقف الممنوع، فلو جعل ابتداءه من الكلمة التالية لعلامة الوقف دائمًا فذلك أسلم له وأبعد عن الخلل.

لكن لو انقطع نفسه في غير موضع وقف، فالذي يحسن به: أن يعود إلىٰ شيء من الآية قبل موضع وقوفه فيصله بما بعده بشرط أن يصح المعنىٰ بذلك الابتداء.

مثل: لو قرأ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ فانقطع النفس، وليس عند هذا في المصحف وقف، إنما الوقف علىٰ قوله: ﴿ثُمَّ

﴿أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾، وهو وقف كاف، ويسمىٰ (الوقف الجائز)، فعليه حينئذ أن يعود ليبدأ في موضع يتصل به الكلام المفيد، فلا يبدأ بقوله: ﴿يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ فهذا مخل بالسياق، وإنما يرجع فيقرأ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]

ومن علامات الوقف والابتداء في المصحف:

(مـ): وتفيد لزوم الوقف ولزوم البدء بما بعدها وهو ما يسمىٰ بالوقف اللازم.

(لا): تفيد النهي عن الوقف في موضعها، والنهي عن البدء بما بعدها.

(صلي): تفيد بأن الوصل أولىٰ مع جواز الوقف.

(قلي): تفيد بأن الوقف أولىٰ مع جواز الوصل.

(ج): تفيد جواز الوقف.

(النقط المثلثة): تفيد جواز الوقف بأحد الموضعين، وليس في كليهما، وهو ما يسمىٰ بوقف المعانقة.

وكانت المصاحف الأولىٰ خالية من علامات الوقف، وظلت كذلك قرونًا كثيرة، وعمل الخطاطون في فترات متأخرة علىٰ وضع علامات لأنواع الوقف التي ذكرها العلماء في كتبهم، مثل (م، ج، صلىٰ، قلىٰ، لا) ونحوها، وتجد في آخر المصاحف المطبوعة توضيحًا لدلالة تلك العلامات وما يشبهها. وقد تختلف هذه العلامات من مصحف إلىٰ آخر تبعا لاختلاف اجتهاد العلماء في فهم التركيب النحوي للآيات، وما يترتب علىٰ ذلك من تغير المعنىٰ.

ما معنى أن فلانًا حصل على إجازة في القرآن؟

معناه: أنه قرأ علىٰ شيخ ضابط متقن للقرآن، وهذا الشيخ قد أخذ علىٰ شيخ آخر، وهكذا إلىٰ أن يتصل سنده بالنبي ﷺ، فيقرأ عليه هذا الطالب القرآن كله، ويجيزه الشيخ أن يقرأ ويُقرئ القرآن كما تعلم، ويصير بذلك مُجازًا، ويصح له أن يجيز غيره حينئذ.

ما المراد بالتغني بالقرآن،
وهل يجوز تعلم المقامات الموسيقية لتحسين الصوت؟

لقد حث النبي ﷺ علىٰ تحسين الصوت بالقرآن، وهو معنىٰ التغني بالقرآن، فمعناه: تحسين الصوت بالقرآن، بإقامة حروفه علىٰ حسب قوانين التلاوة الصحيحة، وهو علم التجويد.

فمن تعلم التجويد حقًا، وقرأ القرآن بلا مبالغة وتكلف، فقد تغنىٰ بالقرآن، وله أجره.

أما تعلم المقامات الموسيقية للقراءة بها، فقد اختلف العلماء في حكمه:

١- فقال بعضهم بجوازه، بشرط عدم الإخلال بقواعد التجويد، فإن أخلت المقامات بالتجويد، وتصنع القارئ في القراءة، وطوّع القرآن لتلك المقامات فإن ذلك غير جائز.

٢- ومنع بعض العلماء من تعلم المقامات مطلقًا، واقتصروا علىٰ التجويد فحسب.

والخلاصة؛ **أن التغني المحمود بالقرآن**، هو: ما يساعد علىٰ المقصود من التلاوة وهو العظة والاعتبار، وفهم معانيه، وتدبر آياته، وتذوق جمال لفظه، وطلاوة أسلوبه، وحلاوة بلاغته، وهذا مستحسن مطلوب.

وأن **علىٰ القارئ أن يلتزم بأحكام تلاوة القرآن**، والتي وضعها العلماء في علم التجويد، وألا يتكلف القراءة بالمقامات.

ما النصيحة لمن ختم القرآن الكريم حفظًا؟

لقد أراد الله بك الخير، ووفقك لوراثة الكتاب، فاعمل علىٰ تحصيل الوراثة كما أراد الله، أنت في مقام اصطفاء فإياك أن تفرط فيه!

أقبل علىٰ شأنك، ولتستقم علىٰ أخلاق حملة الكتاب، وعليك بمراجعة محفوظك، وفهم كلام ربك، والعمل به.

كن مقبلًا علىٰ ما يعينك علىٰ القرب من كتاب الله، فبقدر قربك يكون أخذك.

كيف أضبط متشابهات القرآن، وما الكتب المعينة على ذلك؟

أفضل طريقة لضبط متشابهات القرآن؛ **كثرة المراجعة**، فإن من كثرت مراجعته للقرآن استطاع أن يستحضر المتشابهات، وأن يفرق بينها بيسر إن شاء الله.

ومما يعين علىٰ ضبط المتشابه:

١- تلاوة القرآن في الصلاة.

٢- فهم القرآن.

٣- إيجاد طريقة خاصة لضبط المتشابه.

٤- تقييد الآيات المشتبهة علىٰ الحافظ، وإدمان النظر فيها.

٥- معرفة الفروق البلاغية بين المتشابهات اللفظية.

ومن الكتب الجيدة في مسألة الحفظ، والمراجعة، وضبط المتشابهات اللفظية، وغايتها أن تكون كالفهرس، وإلا فإن **الجهد الشخصي** يعد العامل الأساس في الضبط والاستحضار:

١- الحصون الخمسة في حفظ القرآن الكريم، والجبال الرواسي في مراجعة وإتقان كلام رب الناس، ورسوخ وهي ثلاثة كتب، للشيخ د. سعيد أبو العلا حمزة.

٢- الكليات في المتشابهات اللفظية القرآنية، للشيخ عبد الرحمن القصير.

٣- الضبط بالتقعيد للمتشابه اللفظي في القرآن المجيد، للشيخ فواز آل حنين.

٤- دليل الآيات المتشابهة علىٰ الحفاظ، د. سراج صالح ملائكة.

٥- إعانة الحفاظ للآيات المتشابهة الألفاظ، وهو كتاب جيد للشيخ محمد طلحة بلال أحمد منيار.

٦- دليل الحفاظ في متشابه الألفاظ، للشيخ يحيىٰ الزواوي.

وهذا الموضوع تظهر فيه بعض الإبداعات الفردية للمؤلفين، فلكل طريقته في حصر المتشابه، وفي مجموع هذه الكتب خير.

سادسًا: أحكام فقهية تتعلق بالقرآن المجيد

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٧-٨٠].

ما حكم الطهارة لتلاوة القرآن؟

ينبغي علىٰ المسلم أن يكون طاهرًا حال تلاوته للقرآن، وأن يراعي هذا الأدب.

ويختلف حال المسلم عند قراءة القرآن بين أن يكون علىٰ حدث أصغر، أو حدث أكبر.

١- صاحب الحدث الأصغر:

يجوز للمحدث حدثًا أصغر أن يقرأ القرآن، وإن كان الأولىٰ أن يكون علىٰ طهارة، فالطهارة لتلاوة القرآن أدب يحسن أن يراعيه المسلم.

٢- صاحب الحدث الأكبر:

لا يجوز له مس المصحف في قول جماهير أهل العلم من الصحابة والتابعين، وأئمة المذاهب الأربعة.

أما القراءة: فقد ذهب عامة الفقهاء من المذاهب الأربعة وغيرهم إلىٰ تحريم قراءة القرآن علىٰ الجنب، ولو من غير مسٍّ للمصحف.

أما الحائض والنفساء، فذهب جمهور الفقهاء إلىٰ حرمة قراءة الحائض للقرآن حال الحيض حتىٰ تطهر.

ويمكن للحائض أن تستعين بالسماع بدلًا عن القراءة فترة عذرها الشرعي.

وقال بعض العلماء -بتصرف-: «لا يجوز للحائض أو النفساء قراءة القرآن ولو غيبًا ودون لمس المصحف، فالمحرَّم عليها هو القراءة بغض النظر عن كيفية

القراءة، ويجوز لها أن تنظر إلىٰ القرآن بالعين أو تستحضره بالقلب دون التلفظ باللسان، ويجوز لها أن تنظر إلىٰ القرآن من الأجهزة الإلكترونية (الكمبيوتر، الجوال وغير ذلك) دون أن تتلفظ بقراءته؛ لأن ذلك لا يسمىٰ قراءة بل هو نظر».

ما حكم الطهارة لمس المصحف؟

يحرم مس المصحف علىٰ غير وضوء، وتحريم مس المصحف علىٰ غير وضوء يشمل تحريم مس ورقه، ومس جلده المتصل به (علىٰ الصحيح؛ لأنه كالجزء منه، ولهذا يتبعه في البيع).

وأما تقليب ورقه باستعمال آلة من غير اضطرار إلىٰ مس فلا بأس فيه ولا حرج، بخلاف حمل المصحف باستعمال قماش أو كيس ونحوه، فهذا لا يجوز وإن لم يشتمل علىٰ مس للمصحف، لأن الحمل أبلغ من المس.

يستثنىٰ من ذلك ما إذا خشي المسلم غير المتوضئ علىٰ المصحف الشريف من التعرض للأذىٰ والامتهان.

هل تأخذ المصاحف الإلكترونية حكم المصاحف المطبوعة؟

يجوز مس الهاتف الموجود عليه تطبيق المصحف، سواءٌ أكان المصحف ظاهرًا على الشاشة أم لا، وسواءٌ أكان المس لجدار الجهاز أو للشاشة الظاهر عليها الكتابة، وسواءٌ أكان المس بالإصبع أو بالقلم المعروف في بعض الأجهزة.

وبالتالي: **فإن القراءة جائزة من الهاتف أو نحوه مما يقبل تنزيل القرآن عبر الوسائط المختلفة**، وهذا للمحدث حدثًا أصغر، أما الجنب والحائض فلا يجوز لهما القراءة أصلًا كما قدمنا.

سابعًا: كتب الدراسات القرآنية



ما الكتب التي تصلح للمبتدئين في التفسير؟

١- المختصر في تفسير القرآن، إعداد مركز تفسير، ويمتاز بسهولة العبارة، وكونه تطبيقًا يسهل تنزيله علىٰ الهواتف.

٢- التفسير الميسر، إعداد مجمع الملك فهد، وهو متين العبارة، وعبارته أصح من المختصر، ولكن كثيرًا من الناس لا يستسيغونها.

٣- المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين، للأستاذ مجد مكي، وهو أوسع من سابقيه عبارة، ومفيد كذلك.

٤- تفسير السعدي، ويمتاز بسهولة عبارته، وغزارة فوائده.

ولا ينبغي الحيرة بين الكتب، فليختر من يريد القراءة كتابًا من هذه الكتب، ولن يفوته شيء كبير.

أريد تفسيرًا صوتيًا للقرآن الكريم؟

١- دورة الأترجة: https://goo.gl/JJufqP, https://goo.gl/gGZWVP

٢- برنامج بينات، ويعرض علىٰ قناة «المجد» التلفازية.

٣- برنامج التفسير المباشر، وقد بثته قناة «دليل» التلفازية.

٤- تفسير الشيخ الشعراوي ﷺ.

أريد أن أتعلم علوم القرآن، كيف أبدأ؟

يبدأ من يريد تعلم علوم القرآن بمطالعة الكتب التالية:

١- مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف، د.حازم حيدر سعيد، ط.معهد الإمام الشاطبي.

٢- القرآن الكريم (مقدمة أساسية)، عمرو الشرقاوي.

٣- علم التفسير (مقدمة أساسية)، عمرو الشرقاوي.

وبعد ذلك، يقوم بقراءة الكتب التالية:

١- المقدمات الأساسية في علوم القرآن، د. عبد الله الجديع، ط. الريان.

٢- التحرير في أصول التفسير، د. مساعد الطيار، ط. معهد الشاطبي.

٣- المحرر في علوم القرآن، د. مساعد الطيار، ط. معهد الشاطبي.

وإن أراد التوسع، فلينظر: السبل المرضية لطلب العلوم الشرعية، أحمد سالم، الإصدار الثالث، ط. مركز تفكر.

ويستعين -مع ما سبق- بالسلاسل الصوتية، وأهمها:

١- مدخل إلى المصحف الشريف، وعلم القراءات، د.حازم حيدر:

https://goo.gl/mSVY4T

٢- علوم القرآن، د.محمد الخضيري:

https://goo.gl/KUbA71 , https://goo.gl/Woi7dJ

٣- المهمات في علوم القرآن، د. خالد السبت:

https://goo.gl/QCGhmf, https://goo.gl/fSzftC

٤- الطريق إلىٰ صناعة المفسر، د. مساعد الطيار: https://goo.gl/3oxwGR

٥- دورة بداية المفسر: https://goo.gl/vBFa1K

٦- برنامج أضواء القرآن، وهو من البرامج المهمة: https://goo.gl/9d3pf7

أريد كتبًا عن تدبر القرآن.

١- القرآن تدبر وعمل، مركز منهاج، وهو كتاب حافل ومهم.

٢- الطريق إلىٰ القرآن، إبراهيم السكران.

٣- «هذه رسالات القرآن»، د. فريد الأنصاري.

٤- «المشوق إلىٰ القرآن»، عمرو الشرقاوي.

٥- الخلاصة في تدبر القرآن، د. خالد السبت.

٦- ليدبروا آياته حصاد (سبع سنوات من التدبر)، دار الحضارة.

٧- أول تدبر، د. نايف الزهراني.

٨- أول مرة أتدبر القرآن، عادل محمد خليل.

٩- القواعد والأصول وتطبيقات التدبر، د. خالد السبت.

١٠- تدبر القرآن الكريم، د. عبد اللطيف التويجري.

أريد كتابًا ميسرًا في أسباب النزول.

١- التسهيل في أسباب التنزيل، عمرو الشرقاوي.

٢- الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل الوادعي.

٣- الصحيح من أسباب النزول، د. عصام بن عبد المحسن الحميدان.

ما أفضل الكتب في قصص الأنبياء؟

١- دعوة الرسل للشيخ محمد أحمد العدوي، عناية عمرو الشرقاوي، وهو من أفضل الكتب التي طالعتها في قصص الأنبياء.

٢- قصص الأنبياء في القرآن الكريم وما فيها من العبر، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

٣- قصص القرآن، لمجموعة من الشيوخ، منهم: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي البجاوي.

٤- قصص القرآن الكريم، للدكتور فضل حسن عباس.

٥- القصص القرآني، د. صلاح الخالدي.

أريد بعض الكتب المعينة على إدراك بلاغة القرآن وجمال أسلوبه ولطائفه

إن إدراك بلاغة القرآن وجمال أسلوبه من الموضوعات المهمة، والتي يحصل بإدراكها إدراك جانب من عظمة هذا الكتاب المبين، ومن الكتب في معرفة هذا الجانب ما يلي:

١- التحرير والتنوير، للإمام الطاهر ابن عاشور، وهو تفسير قيم يهتم بإيراد مثل هذه الجوانب.

٢- كتب الدكتور فاضل صالح السامرائي، وتطبعها در ابن كثير، وكثير منها متوفر علىٰ الشبكة العالمية، وكذلك برامجه المرئية، ومنها:

- لمسات بيانية.
- أسئلة بيانية في القرآن الكريم.
- التعبير القرآني.
- علىٰ طريق التفسير البياني.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني.

٣- بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، د. عبد الله النقراط، دار قتيبة.

٤- كتب مركز تدبر، وهي كتب مفيدة، ومهمة، ومنها:

- حصاد سبع سنوات من التدبر.

- الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية، د. عبد الله سرحان.

- بدائع المعاني (آيات الصيام: تدبر وتحليل)، د. عبد المحسن العسكر.

٥- مجالس القرآن، د. فريد الأنصاري، دار السلام.

أسئلة عن طبعات الكتب التالية:
«تفسير ابن كثير»، «تفسير ابن جزي»

١- تفسير ابن كثير

طبعاته متقاربة، وأفضلها -فيما اختبرته-: دار طيبة الطبعة الثانية، ودار ابن الجوزي، ودار عالم الكتب، ولا ينبغي التوقف كثيرًا في التفضيل بين طبعاته، فقد كثرت جدًا، وصعب التفضيل بينها.

وأما مختصراته، فمن أجودها:

- اليسير في اختصار ابن كثير، إشراف د. صالح بن حميد، وهو أفضلها -في رأيي-.
- عمدة التفسير، للعلامة أحمد شاكر.
- المصباح المنير، للمباركفوري، وعليه شرح للشيخ خالد السبت.

ولا ينبغي الاستغراق في التفضيل بينها.

٢- تفسير ابن جزي.

صدرت طبعة دار طيبة بتحقيق أ/ علي الصالحي، وهي طبعة جيدة، أمثل من طبعاته السابقة، وهي أفضل من طبعة دار الضياء المنتشرة، فإلم توجد فطبعة المنتدىٰ الإسلامي بتحقيق د. أبو بكر سعداوي، وهي مصورة ومتوفرة علىٰ الشبكة.

ما رأيك في كتاب «في ظلال القرآن»؟

كتاب «في ظلال القرآن»، لمؤلفه الأستاذ/ سيد قطب ﷺ، ليس تفسيرًا بالمعنىٰ الاصطلاحي، وأغلب مادته من تفسير الإمام ابن كثير.

وهو كتاب ممتع، يقرأ فيه المسلم فيجد فيه روحًا صادقة، وتأملًا مع معاني كلام الله ﷻ لا يجدها عند غيره.

غير أن الكتاب لا يصلح لطالب مبتدئ، فالأفضل أن يُقرأ مع أحد مختصرات التفسير، ليُضبط المعنىٰ، ويُستفاد مما قرره الأستاذ ﷺ.

وعلىٰ الكتاب ملحوظات قدمها عددٌ من أهل العلم، لكنها لا تنفي قدره، وأهميته.

أريد أسماء كتب لتكوين نواة مكتبة في الدراسات القرآنية؟

رتبت هذه الكتب بحسب الأهمية -غالبًا-، والدراسة -ثانيًا- إلا ما ندر، وسأجعل قائمة رئيسة بإذن الله تعالىٰ بعد هذه المقدمة.

أولًا: كتب التفسير

١- المختصر في تفسير القرآن، مركز تفسير.

٢- اليسير في اختصار ابن كثير، د. صالح بن حميد، كرسي القرآن وعلومه.

٣- التسهيل لعلوم التنزيل (تفسير ابن جزي)، دار طيبة، أو المنتدىٰ الإسلامي.

٤- تفسير ابن كثير، ابن الجوزي، أو طيبة الثانية، أو عالم الكتب.

٥- التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، دار سحنون.

٦- زاد المسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي.

٧- المحرر الوجيز، لابن عطية، قطر، أو دار الكتاب العربي.

٨- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، للطيبي، جائزة دبي.

٩- موسوعة التفسير المأثور، معهد الإمام الشاطبي.

١٠- تفسير الإمام الطبري، عالم الكتب.

١١- تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية، دار ابن الجوزي.

١٢- التفصيل في إعراب التنزيل، د. سعد مصلوح، د.الخطيب، دار العروبة.

ثانيًا: كتب علوم القرآن، وأصول التفسير

١- هذه رسالات القرآن، د.فريد الأنصاري، دار السلام.

٢- مدخل إلىٰ التعريف بالمصحف الشريف، د. حازم حيدر، معهد الإمام الشاطبي.

٣- المشوق إلىٰ القرآن، عمرو الشرقاوي، مركز تفكر.

٤- القرآن الكريم (مقدمة أساسية)، عمرو الشرقاوي، عالم الأدب.

٥- علم التفسير (مقدمة أساسية)، عمرو الشرقاوي، عالم الأدب.

٦- المقدمات الأساسية في علوم القرآن، د. عبد الله الجديع، الريان.

٧- المحرر في علوم القرآن، د. مساعد الطيار، معهد الإمام الشاطبي.

٨- التحرير في أصول التفسير، د. مساعد الطيار، معهد الإمام الشاطبي.

٩- الميسر في علم رسم المصحف، د. غانم قدوري الحمد، معهد الإمام الشاطبي.

١٠- الميسر في علم عد الآي، د. أحمد خالد شكري، معهد الإمام الشاطبي.

١١- مقدمات في علم القراءات، د. أحمد خالد شكري، دار عمار.

١٢- الأساس في علم القراءات، د. علي الجعفري، أروقة.

١٣- علوم القرآن في الأحاديث النبوية، د. عمر الدهيشي، كرسي القرآن الكريم.

١٤- علوم القرآن عند الصحابة والتابعين، د. بريك القرني، دار التدمرية.

١٥- إمتاع ذوي العرفان بما اشتملت عليه كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في علوم القرآن، مجموعة، دار الإمام البخاري.

١٦- علوم القرآن بين البرهان والإتقان، د. حازم حيدر، دار الزمان.

١٧- مواقع العلوم في مواقع النجوم، للإمام البلقيني، شرح عمرو الشرقاوي، المكتبة العصرية.

١٨- الإتقان في علوم القرآن، الإمام السيوطي، مجمع الملك فهد.

١٩- البرهان في علوم القرآن، للإمام الزركشي، دار المعرفة، أو دار الحضارة.

٢٠- المحرر في أسباب النزول، د. خالد المزيني، دار ابن الجوزي.

٢١- الاستدلال علىٰ المعاني في تفسير الطبري، د.نايف الزهراني، مركز تفسير.

٢٢- التفسير اللغوي، د. مساعد الطيار، دار ابن الجوزي.

٢٣- اختلاف السلف في التفسير، د. محمد صالح، مركز تفسير.

٢٤- المفسرون من الصحابة، عبد الرحمن المشد، مركز تفسير.

٢٥- دعوة الرسل، الشيخ محمد العدوي، مركز تفكر.

٢٦- النبأ العظيم، د. محمد دراز، مركز تفكر.

٢٧- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د. صلاح الخالدي، دار القلم.

٢٨- رسم المصحف، د. غانم الحمد، دار عمار.

٢٩- العقائدية، وأثرها في تفسير النص، د. ياسر المطرفي، مركز نماء.

٣٠- تفسير آل حاميم، د. محمد أبي موسىٰ، مكتبة وهبة.

٣١- آيات العقيدة المتوهم إشكالها، زياد العامر، دار المنهاج.

٣٢- مقالا في علوم القرآن وأصول التفسير، د. مساعد الطيار، مركز تفسير.

٣٣- بحوث محكمة في علوم القرآن، د. مساعد الطيار، مركز تفسير.

٣٤- من إعجاز القرآن في أعجمي القرآن، د. رؤوف أبو سعدة، دار الميمان.

٣٥- الشاهد الشعري، د. عبد الرحمن الشهري، دار المنهاج.

وعامة إصدارات: (مركز تفسير للدراسات القرآنية)، (كرسي القرآن الكريم وعلوم بجامعة الملك سعود)، (معهد الإمام الشاطبي بجدة)، (مؤسسة مبدع بالمغرب)، (مركز منهاج)، (مركز تدبر)، (الجمعية السعودية للقرآن وعلومه)، (جمعية المحافظة علىٰ القرآن بالأردن)، (كراسي القرآن في الجامعات)، «جمع

الملك فهد)، (دار التفسير)، وغيرها مما يحرص علىٰ معرفة إنتاجهم، ومتابعة المهم فيه.

ويمكنك الاطلاع علىٰ المنتقىٰ من كتب الدراسات القرآنية (١٠٠ كتاب)، لأستاذنا الدكتور عبد الرحمن بن معاضة الشهري.

أريد قائمة مختصرة في الدراسات القرآنية، ولمن أتوجه بالسؤال عما يشكل علي فيما يتعلق بالقرآن؟

١- المختصر في تفسير القرآن، مركز تفسير.

٢- اليسير في اختصار ابن كثير، د. صالح بن حميد، كرسي القرآن وعلومه.

٣- التسهيل لعلوم التنزيل (تفسير ابن جزي)، دار طيبة، أو المنتدىٰ الإسلامي.

٤- هذه رسالات القرآن، د. فريد الأنصاري، دار السلام.

٥- مدخل إلىٰ التعريف بالمصحف الشريف، د.حازم حيدر، معهد الإمام الشاطبي.

٦- المشوق إلىٰ القرآن، عمرو الشرقاوي، مركز تفكر.

٧- القرآن الكريم (مقدمة أساسية)، عمرو الشرقاوي، عالم الأدب.

٨- علم التفسير (مقدمة أساسية)، عمرو الشرقاوي، عالم الأدب.

٩- المقدمات الأساسية في علوم القرآن، د. عبد الله الجديع، الريان.

١٠- المحرر في علوم القرآن، د. مساعد الطيار، معهد الإمام الشاطبي.

١١- التحرير في أصول التفسير، د. مساعد الطيار، معهد الإمام الشاطبي.

١٢- الأساس في علم القراءات، د. علي الجعفري، أروقة.

١٣- دعوة الرسل، الشيخ محمد العدوي، مركز تفكر.

١٤- النبأ العظيم، د. محمد دراز، مركز تفكر.

١٥- تنزيه القرآن الكريم عن دعاوىٰ المبطلين، منقذ السقار، مركز تكوين.

ويمكن الرجوع في السؤال عن القرآن وما يتعلق به للمواقع الاتية:

١- مركز تفسير للدراسات القرآنية، وحسابهم: الاستشارات القرآنية.

٣- موقع (الإسلام سؤال وجواب)، قسم: القرآن وعلومه.

ثامنًا: ملحقات الكتاب

أفياء، منشورات قرآنية

(١)

أفياء

سورة البقرة

١- ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]

منزلة الرجل من ربه تكون بمقدار قيامه بما أوجبه الله عليه، وعنايته بالتكاليف.

٢- من كثرت معرفته بالقرآن، تفجرت الحكمة في قلبه وعلىٰ لسانه، قال الله: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]،

قال أهل التفسير: الحكمة، هي المعرفة بالقرآن.

سورة آل عمران

- صرح القرآن باسم محمد ﷺ في أربع مواضع:

ثلاثة منها في وصفه بالرسالة، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

والرابعة في ذكر إنزال القرآن عليه، ﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ [محمد: ٢]!

سورة النساء

١- ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النساء: ٧٢].

لا تكن بطيئًا في العبادة، أقبل علىٰ الله وطاعته، قبل أن تندم علىٰ انصرام الأيام، وتقول حين ينتهي العمر، ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٣].

لا تزال فرص الفوز بيدك، فاستمسك بها.

٢- ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١١].

فليتق الله من يرمي الناس بما هم منه براء، والمنصف العاقل من أنصف في كل حال!

سورة المائدة

١- أولىٰ العقود بالوفاء؛ العقد الذي عقده الإنسان مع ربه، أن يعمل الصالحات فيدخل الجنة، فمن وفىٰ وُفي له!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

٢- ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

فمن عرف الحق كان عليه أن يلزمه، وألا يتركه لقول أحد كائنًا من كان، وعلىٰ الحق نور يدركه من نُوّرت بصيرته، والله يهدي الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه.

اللهم إنا نسألك أن ترينا الحق حقًا، وأن ترزقنا اتباعه!

سورة الأنعام

١- نزول البأس = مَوْقِدُ التضرع!

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

٢- ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

بعض النفوس لا يزيدها التخويف من الله إلا طغيانا كبيرًا، تلك قلوب ماتت، لم تعد تشعر بالحياة، أما القلوب الحية فربما أصابها الظلام، وطائف الشيطان، بانعدام للرؤية، فإذا ذكروا تذكروا فأبصروا، فعاشوا بالإبصار في نعيم.

سورة الأعراف

١- يا هذا:

لا تأخذن بقول كل ناصح، فإن الشيطان قال لأبويك: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]، ولم يكتف بذلك بل أقسم عليه!

فكان ما كان؛ فلا تغتر.

٢- ولا يزال الشيطان يزين لك أنها السعادة الأبدية؛ فإذا واقعتها رأيت حقارة الأمر ووضاعته!

فلا تفعل فإنه فخ قديم وقع فيه أبويك . . .

فكن علىٰ حذر.

٣- وقال الكليم موسىٰ لقومه، وهم مستضعفون في الأرض، يخافون أن يتخطفهم فرعون وجنوده، ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

كن من أهل التقوىٰ، تكن لك العاقبة!

سورة الأنفال

١- إذا فتح الله للإنسان بابًا لفهم الكتاب، والعمل به، فليستمسك به، فإنه علامة خير وبركة، ألا ترىٰ أن الله تعالىٰ قال عن قوم:

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣]، أي: سمع انتفاع وعمل.

٢- مهما اجتهد الطغاة في إسكات الحق، فإنه لا محالة ظاهر، والله يتم نوره ولو كره المجرمون!

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

٣- ربنا الودود، يجعل في قلوب عباده ود الأناس، وبغضا لآخرين . . .

﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

سورة التوبة

١- ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

هذا هو شعار المؤمن في الأشهر الحرم، لا تظلم نفسك، ولا تظلم غيرك، ولا تساعد أحدًا علىٰ الظلم!

٢- عن عمرو بن الحارث، عن أبيه: أن أبا بكر الصديق، -رحمة الله تعالىٰ عليه- حين خطب قال: «أيكم يقرأ سورة التوبة؟» قال رجل: أنا، قال: «اقرأ»، فلما بلغ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة: ٤٠] بكىٰ أبو بكر وقال: «أنا والله صاحبه!»

- من صفة الصاحب حقًا = نفي الحزن عن صاحبه، وبث السكينة والطمأنينة في قلبه، ألا ترىٰ إلىٰ أعظم الأصحاب، وهو محاط به مع صاحبه، لما رأىٰ الحزن داخل قلبه، قال له: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]

سورة يونس

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣].

ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا، مع ما يدخر الله لصاحبه في الآخرة، من البغي.

٢- ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩، ٧٠]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦، ١١٧].

الافتراء علىٰ الله تعالىٰ وطمس الحق عادة الطغاة والذين يشرعون لهم، والله يذهبه ويمحقه، متاع قليل، ويذيقهم الله العذاب الشديد المؤلم.

سورة هود

- قال هود لقومه: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود: ٥٤، ٥٥].

إنَّ هذه آية من آيات الله في أنصار الحق، وعبرة من العبر، من آيات الله فيهم أن يزيل من قلوبهم هيبة الظالمين، وخشية المفسدين؛ لأنَّ قلوبهم امتلأت بالخشية من الله والخوف منه، ولأنَّهم واثقون بضعف كيد الشيطان، وأنصار الباطل، وقد أرانا الله -تعالىٰ- أنَّ الباطل لَجْلَج، وأنَّ الحق واضح أَبْلَج، وأنَّ العاقبة لأوليائه، والخذلان لأعدائه، وقدوتنا الحسنة في ذلك أئمة الهدىٰ، وهداة البشر، مَن اختارهم الله -تعالىٰ- لقيادة الناس، وسعادة الإنسانية، فهم الذين يرسمون لنا طريق الدعوة، ويعرفوننا الاستهانة بالباطل، وإكبار الحق، ومن أجل ذلك كانوا أشجع الناس قلوبًا، وأوثقهم عقيدة، وأربطهم جأشًا، تضطرب الأرض ومن عليها بفساد المفسدين وهم لا يضطربون، وتضجّ من هول الجبابرة

والمستكبرين، وهم علىٰ دينهم دائبون، وبدعوتهم معتصمون، وعلىٰ ربهم متوكلون.

سورة يوسف

١- البلاء إذا هجم هجم مرة، وإذا زال زال بالتدريج!

حلّ البلاء بيعقوب مرة واحدة حيث قالوا: ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٧]، ولما زال البلاء؛ فأولًا وجد ريح يوسف عليه السلام، ثم قميص يوسف، ثم يوم الوصول بين يدىٰ يوسف، ثم رؤية يوسف، (القشيري).

٢- صبر يوسف عن لقاء الملك، فأبدله الله عزًا وملكًا، فمن قول الملك: ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦ﴾ [يوسف: ٥٠]، إلىٰ قوله: ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ [يوسف: ٥٤].

فكيف لو صبرت عن شهواتك المحرمة؟! صبر ساعة، ونجاة الدهر.

٣- قال بعض أهل التأويل: في هذه الآية، أي قوله: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٥٥]، ما يبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر، بشرط أن يعلم أنه يفوض إليه في فصل ما لا يعارض فيه، فيصلح منه ما شاء وأما إن كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهواته وفجوره، فلا يجوز له ذلك، (ابن عطية)

٤- بعض التهم تحتاج إلىٰ سكوت منك وتغافل، لا ترد عليها، وثق أنهم يومًا ما سيعرفون الحقيقة!

﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ﴾ [يوسف: ٧٧]

٥- لا ينفك المحب عن ذكر حبيبه وإن طال الزمن!

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [يوسف: ٨٥]

٦- طال انتظار يعقوب غير أنه لم ييأس، وابيضت عيناه من الحزن غير أنه لم يقنط، ونصح قائلًا: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] . . . اللهم رحمتك!

٧- قال الكريم لرسول الملك: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ﴾ [يوسف: ٥٠]، «فنكب عن ذكر امرأة العزيز حسن عشرة ورعاية لزمام الملك العزيز له»، (ابن عطية).

قلت: وفي قوله سبحانه عن الكريم سليل الكرام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠]

تنبيه علىٰ خلق عظيمٍ جدًا.

فإن يوسف لم يذكر خروجه من الجب مع كونه أشد، وأعظم؛ إذ كان غلامًا صغيرًا وحيدًا في جب مظلم متروك للأهوال والمخاوف . . .

لم يذكر الجب، وذكر السجن؛ لئلا يؤذي مشاعر إخوته -وهم الذين رموه في الجب-، وقد عفا عنهم قبل قليل.

اللهم صل علىٰ إبراهيم، وعلىٰ آل إبراهيم!

٨- قد يطول الطريق حتىٰ تبصر لطف الله بك، فلا تأخذك العجلة، ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

٩- حين يعاين المؤمن نعم الله التي تتوالىٰ عليه تترىٰ؛ يتشوف للنعيم الخالد فينطلق لسانه داعيًا ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

١٠- في ختام السورة العظيمة، ابتداء تنبيه من الله -تعالىٰ- علىٰ الطريق الحق، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤]، قال ابن عطية: ابتدأ الله تعالىٰ الإخبار عن كتابه العزيز أنه ذكر وموعظة لجميع العالم -نفعنا الله به ووفر حظنا منه بعزته-.

١١- ﴿وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩].

لم يكن الكريم يوسف حين قص الرؤيا علىٰ أبيه يعلم ما تحمله له الأيام في طياتها، ولم يكن أبوه يعلم حين أخذ ولده منه إلىٰ ما يصير.

لم يكن يوسف علىٰ علم لم هذه البلاءات المتتالية، لم الجب، والنسوة، والسجن؟

لم فارق أباه؟

لم حسده إخوته؟

لم ظلم ووضع في السجن؟

لكنه أدرك كل هذا، وكانت الحكمة العظيمة: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

فكم لله من لطف خفي	يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم يسر أتىٰ من بعد عسر	ففرج كربة القلب الشجي
وكم أمر تساء به صباحًا ...	فتأتيك المسرة بالعشي

١٢- في سورة الكريم سليل الكرماء، يوسف عبر عظيمة وآلاء جسيمة، تأمل كيف أنجاه الله من حسد إخوته، بوضعه في الجب، ثم أنجاه من الجب، إلىٰ بيت العزيز.

وأنجاه من كيد النسوة، بوضعه في السجن، ثم أنجاه من السجن، ليكون العزيز.

خفض ورفع، ومحنة فمنحة، هذه هي الدنيا، ومع ذلك أعلنها حقيقة مدوية:

﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

١٣- قميص يوسف: دل علىٰ كذب إخوته، ودل علىٰ براءته من الفاحشة، ورد الله بصر يعقوب به، فسبحان من يتصرف في الكون بالتدبير واللطف.

١٤- بعض المحبة بلاء، وفي قصة الكريم يوسف النبأ؛ أحبته عمته، وأحبه أبوه، وأحبته امرأة العزيز، فابتلي من جراء تلك المحبة بما لا يخفىٰ!

سورة الكهف

- الكليم موسىٰ، والخضر المعلِّم يستطعمان أهل قرية فيقابَلا بالرفض والإباء!

فأي قيمة للدنيا إذًا؟!

قال ابن عطية في قوله سبحانه: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف: ٧٧]، «وهذه عبارة مصرحة بهوان الدنيا علىٰ الله».

سورة مريم

- ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم: ٢]، الذي أعلن رحمة الله به، وأنه لم يخيب له دعاءًا ﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾ [مريم: ٤]، يقول: ولم أشق يا رب بدعائك، لأنك لم تخيب دعائي قبل إذ كنت أدعوك في حاجتي إليك، بل كنت تجيب وتقضي حاجتي قبلك.

وخافت الشريفة البتول مريم علىٰ عرضها، فاستعاذت بالرحمن، ليقيها شر من ظنت أنه يتهجم عليها، فأجابها أنه رسول ربها ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ [مريم: ١٩].

في ساعات الضيق تكون الرحمة، ومع الشدة يأتي الفرج، إننا نتعامل مع الله الرحمن، الكريم، اللطيف.

وحينها نطق عيسىٰ في المهد، ليعلن براءة أمه، وليخبر الناس كل الناس أنه عبد لله؛ الله هو الحق، وهو الذي يظهر الحق، وهو الذي يقضي الحق، وهو خير الفاصلين.

سورة الشعراء

- إياك أن تهون من الوعظ، وترقيق القلوب؛ فإن قوما بلغت بهم الحال إلىٰ أن صارت مواعظ الله، التي تذيب الجبال الصم الصلاب، وتتصدع لها أفئدة أولي الألباب، وجودها وعدمها -عندهم- علىٰ حد سواء، لقوم انتهىٰ ظلمهم، واشتد شقاؤهم، وانقطع الرجاء من هدايتهم.

ولهذا قالوا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦].

نسأل الله العافية.

سورة القصص

١- ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥، ٦].

تأملوا هذه العظمة والإحاطة في الحديث عن المن، وجعل المؤمنين أئمة ورثة، والتمكين، والمكر بالظالمين!

إن المؤمن يأوي إلىٰ ركن شديد، فاللهم هيئ لنا من أمرنا رشدًا! وعليك بالظالمين ومن عاونهم!

٢- أرسل الله -تعالىٰ- موسىٰ لفرعون (الذي يمثل سلطة الحكم)، وهامان (الذي يمثل سلطة الدين)، وجمع الله بينهما مع قارون (الاقتصاد)، فقال:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٢٣ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ﴾ [غافر: ٢٣]، وغيرها.

فتأمل كيف جمع بينهما، ونسب الجنود لهما جميعًا!

فلكل فرعون هامان يخاف علىٰ سلطته ونفوذه، ويقلب الحق باطلًا والباطل حقًا.

والله -تعالىٰ- ينتقم منهم جميعًا ويأذن بهلاكهم ليكونوا لمن خلفهم آية.

٣- من شيم الكرام مساعدة من يحتاج المساعدة، عرفه أو لم يعرفه، طلب منه أو لم يطلب، ذكرًا كان أو أنثىٰ!

ألا ترىٰ إلىٰ الكليم؟ كيف حمله نبل أخلاقه وجميل صفاته، حين رأىٰ ابنتي الرجل الصالح تذودان، وسألهما: فأخبراه الخبر، ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ [القصص: ٢٤]، بلا عوض طلبه، إلا الأجر من الكريم.

فأكرمه الله، وأمنَّه، وزوجه، وصار من المرسلين.

٤- ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

هكذا أهل العلم حين ينصحون، يوجزون في اللفظ، ويبدعون في المعنىٰ.

٥- العالم بالله وأمره إن أبصر الحق؛ بصَّر الناس به، وحثهم عليه!

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [القصص: ٨٠].

٦- العلماء حقًا لا يميلون لأهل الدنيا، ولا يلهثون ورائهم طلبًا لأموالهم، بل لهم عزة ومنعة، ونصح لمن مال:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [القصص: ٨٠].

وكم من عالم مال لأهل الدنيا -بتأويل وبغير تأويل- فأفسدوا عليه دنياه وآخرته، وشانوه واحتقروه.

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم، ولو عظموه في النفوس لعظما!

سورة العنكبوت

١- في سورة العنكبوت تثبيت لأهل الإيمان أمام طواغيت الأرض، فيها ثبات وصبر علىٰ المحن، فيها نصر لأهل الإيمان، فيها أن العاقبة لهم.

في سورة العنكبوت بيان أن الأرض لله، وأن فيها متسع لمن ضيق عليه في دينه.

فيها أمر ببلاغ القرآن، بلاغ القرآن، بلاغ القرآن! ووصف لحملته.

ذكر الله في سورة (العنكبوت) وهن الطواغيت وأتباعهم، وكيف أن الله أهلكهم وما كانوا سابقين.

فيه بيان لأهل الإيمان ألا يتخذوا من دون الله أولياء!

فيها بيان الجزاء الأخروي، وأن الغرف للذين آمنوا وعملوا الصالحات، العاملون بأمر الله، الصابرون علىٰ نعمائه وبلائه.

فيها أن الرزق بيد الله لا بيد غيره.

فيها وفيها، املؤوا أنفسكم من الوحي، عظموه، أزيلوا به رانًا علىٰ هاتيك القلوب، وظلمة في تلك النفوس!

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

إنه وحي فتعرضوا له!

٢- عملية الإصلاح شاقة لا تنال بالراحة، بل يرحل إليها علىٰ جسر من التعب، وفي آخر سورة العنكبوت، بعد الحديث عن الفتنة في الدين والدنيا، وضع العلاج فقال سبحانه الكريم:

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

فاصبروا، وصابروا، ورابطوا، واتقوا الله، = لعلكم تفلحون.

سورة فصلت

١- أتدري ما الأهوال؟!

أن الإنسان قد يستخفي عن كل أحد، لكنه لن يستخفي عن جلده، ولا عن سمعه وبصره، وكيف يفعل وبهذه الآلات يستمتع؟!

وهذه الآلات نفسها هي التي تشهد عليه يوم القيامة، فتأمل هذا الحوار الذي أخبرنا الله عنه، بعد أن يختم الله علىٰ لسان العبد، ثم يأمر الجوارح فتتكلم، فيشهد علىٰ العبد ما لا يمكن أن يستتر عنه فقالوا:

﴿لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢١، ٢٢].

لكن المصيبة حقًا هي الغفلة عن نظر الذي لا تخفىٰ عليه خافية، ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٢، ٢٤].

فاللهم استرنا!

٢- من استعمله الله -تعالىٰ- لدعوة الناس، والأخذ بأيديهم إلىٰ طريق الله؛ فإنه علىٰ خير عظيم، امتدحه الله، وأثنىٰ علىٰ أهله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

فلله درهم! كم عاص تاب بسببهم! وكم من ضال رجع بجميل خطابهم! هم الأدلاء علىٰ الله، وقد حازوا شرف التبليغ عن رسول الله.

والرجل منهم -إن وقف علىٰ ما يحسن، ولم يتكلم إلا فيما يتقن- فقد فاز والله بخيري الدنيا والآخرة.

وكثير من العلماء والأئمة هداه الله وسلك بهم طريق العلم بسبب داعية موفق، فكان العالم وما عمل في ميزان هذا الداعية.

٣- الأمن كل الأمن، أمن من ﴿يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠]، والخوف كل الخوف: خوف ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ﴾ [فصلت: ٤٠].

فاعملوا ما شئتم، إن الله بما تعملون بصير!

سورة الأحزاب

- من أعظم موارد السلوك الحق= معرفة أحوال رسول الله، وإدمان مطالعتها مرة تلو الأخرىٰ، وهي الحياة لمن أحسن التأمل ورزقه الله الفهم.

وربنا يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

سورة سبأ

- ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ [سبأ: ٥٠].

في الوحي هدايتك، فلا تطلبنها من غيره . . .

سورة فاطر، أو سورة الملائكة!

١- تلك السورة تحتوي من شريف المعاني ما يبهر الألباب، ويستنطق القلوب بخشية الملك الجليل والإذعان له وحده لا شريك له.

في هذه السورة طمأنينة لأهل الإيمان، أن يثقوا بالله وحده، فما من نعمة إلا هي بأياديه، فإن أمسكها فلا مرسل له من بعده.

ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله!

وفيها أمر لأهل الإيمان بالعزة، وعدم الاستكانة والضعف.

وفيها تحذير من اتخاذ الشيطان وليًا، والأمر بإبداء العداوة له.

وفيها الآية الكاشفة:

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨].

وبعد ذكر الآلاء والنعم، يقرر الله للإنسان حقيقة أمره، ويعلن له حقيقة نفسه وفقره:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥].

والعلماء حقًا هم أهل الخشية.

وفي السورة تنبيه عظيم علىٰ جلالة الكتاب، وفضل ورثته وحملته، وما أعد لهم من الخير، وما رفع عنهم من شر.

وفي الختام تقريع وتوبيخ للمشركين، إذ كيف يشركوا بالله الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا؟!

كيف يشركوا وقد طالعوا ما حل للأمم قبلهم؟!
فالحمد لله فاطر السماوات والأرض، جاعل الملائكة رسلًا!
٢- ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، عبروا عن كل ما دون الجنة بالحزن، إذ كل سعادة قبل الجنة عابرة.

سورة يس

﴿إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥].
لا تنشغل بشغل الدنيا عن شغل الآخرة، فإن فعلت فأنت مغبون، فإن كل نعيم هنا لا محالة زائلُ، أما هناك فلك ما تدعي!
ولو علم أهل الجنة عمن شغلوا ما همهم ما شغلوا به!

سورة الصافات

- لا يُشان الإنسان ولا يحمد إلا بعمله، فلا يشان بعمل فرع ولا أصل!
يقول ربنا سبحانه عن الأنبياء بعد ذكر فضائلهم ومحاسنهم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٣].

سورة ص

- العاقل لا يلتفت إلىٰ كل قول، ولا يشغل باله بكل أحد، فكثير مما يقال: لا يلتفت له، ولا ينبغي أن ينشغل به!
ذكر الله عن قوم: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [سورة ص: ١٦]، فلم يكن الجواب إلا الإعراض: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ١٧]

سورة غافر

- بيع الوهم!

عملية يجيدها الطاغية، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

ويصدقها الدهماء، ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

سورة الشورى

- ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الشورىٰ: ٧].

سميت مكة بأم القرىٰ لأمور:

١- أنها منشأ الدين والشرع.

٢- ما روي أن الأرض منها دحيت.

٣- أنها وسط الأرض وكالنقطة للقرىٰ.

٤- ما لحق عن الشرع؛ من أنها قبلة كل قرية، فهي لهذا كله أم، وسائر القرىٰ بنات.

سورة الدخان

- ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩].

قال القاضي أبو محمد: «والمعنىٰ الجيد في الآية أنها استعارة باهية فصيحة تتضمن تحقير أمرهم، وأنهم لم يتغير عن هلاكهم شيء، وعظم قصة فرعون وقومه يجيء بحسبها جمال الوصف وبهاء العبارة في قوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾».

سورة محمد

- في ختام سور القتال، سورة نبينا ومولانا وسيدنا محمد رسول الله ﷺ منهاج عظيم في الحياة، وخاصة في هذه الأيام.

فمنها: النهي عن طاعة من كره ما نزل الله، والتي سماها الله ردة عن الحق بعد ما تبين، وكيف أن الله يملي لأناس ليخرج أضغانهم، وعن فائدة البلاء في التمحيص، وعن الحذر من الوعيد الشديد، آيات فيها معتبر لمعتبر، فاعتبروا يا أولي الأبصار، وأقبلوا علىٰ تأملها، وتنزيلها علىٰ قلوبنا!

فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة؟!

فقد جاء أشراطها، فأنىٰ لهم إذا جائتهم ذكراهم [محمد: ١٨]

سورة التحريم

- الاستقصاء في العتاب عادة غير المحب الكريم، وما استقصىٰ كريم قط!

ألم تر أن الله ذكر عتاب نبيه لبعض أزواجه، فقال: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣].

سورة نوح

- وقال نوح النبي في الدعاء: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨].

قال بعض العلماء: إن الإله الذي استجاب لنوح عليه السلام فأغرق بدعوته جميع أهل الأرض الكفار؛ حقيق أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات.

سورة النازعات

- ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

تنطوي هذه الحياة الدنيا التي يتقاتل عليها أهلها ويتطاحنون، والتي يؤثرونها ويدعون في سبيلها نصيبهم في الآخرة، والتي يرتكبون من أجلها ما يرتكبون من الجريمة والمعصية والطغيان، والتي يجرفهم الهوىٰ فيعيشون له فيها . . .

فإذا هي عندهم عشية أو ضحاها!

أفمن أجل عشية أو ضحاها يضحون بالآخرة؟!

ومن أجل شهوة زائلة يدعون الجنة مثابة ومأوىٰ!

ألا إنها الحماقة الكبرىٰ التي لا يرتكبها إنسان يسمع ويرىٰ!

(سيد قطب)

سورة عبس

- ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧-٢٣].

هذه حياة الإنسان، باختصار موجز، وتفصيل عميق، لله ما أعظم هذا الكلام، وسبحان من هذا كلامه!

سورة الفجر

- تأمل!

يقول الله اللطيف الخبير:

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥-١٧].

ويقول:

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩-٢١].

هذه بعض صفة الإنسان -وكلنا إنسان-، وأما علاجه ففي الآيات التالية للآيات السابقة.

سورة الزلزلة

١- من يعمل مثقال ذرة خيرًا = يره

ومن يعمل مثقال ذرة شرًا = يره

تلك حقيقة لا بد أن تنظر إليها، فلا تحقرن عملًا!

(٢)
منشورات قرآنية

١- «وأي طعن يوجه للقرآن من جهة عربيته من طاعن متأخر عن أبي جهل، وأبي لهب وأضرابهم، فاعلم أنه باطل في ذاته = إذ لو كان صحيحًا لما غفل عنه هؤلاء الأعداء، وهم أبصر الناس باللغة، وأحرصهم علىٰ الطعن في القرآن».

٢- «من الكتب المهمة للعلامة د. محمد دراز، والمغفول عنها، كتابه: (مدخل إلىٰ القرآن الكريم)، وهو من الكتب الجديرة بالمطالعة والدرس».

٣- «انظر تصوير القرآن للجهد العنيف الذي بذله الرجل في إصدار حكمه، حيث يقول: إنه فكر وقدر، ثم نظر، ثم عبس وبسر، ثم أدبر واستكبر، ومعنىٰ هذا كله أنه كان يقاوم فطرته، ويستكره نفسه علىٰ مخالفة وجدانه، وأنه كان في حيرة وضيق بما يقول؛ وأخيرًا استطاع أن يقول ما قال نزولًا علىٰ إرادة قومه».

٤- «القرآن المجيد لا تنقضي عجائبه، وآية ذلك أن الناس يردونه، ويصدر كل منهم بما لم يخرج به صاحبه، وهو علىٰ ما هو عليه معين لا ينضب!

وإن أردت أن تقف علىٰ شيء من ذلك، فتأمل تفاسير المحققين من أهل العلم، تجد الواحد منهم يستفرغ مجهوده في إيراد ما يمكن إيراده، ويستدرك المتأخر ما أغفله المتقدم، ولا يزال الناس يأخذون منه، ويتمتعون بما فيه، لا حرمنا الله لذة فهمه، وجعله لقلوبنا ربيعًا».

٥- من أخبار أهل القرآن:

- كان ابن القلال لا يجيز أحدًا ممن يقرأ عليه إلا بتعنت، وقد رحل إليه شخص من بلاد بعيدة، فلما أكمل عليه القراءات سأله الإجازة، فتعنت عليه، فشق ذلك عليه وتوجه مكسور الخاطر وبات تلك الليلة، فرأىٰ النبي ﷺ في النوم، فكأنه سأله عن حاله، فأخبره، وشكا إليه من قول الشيخ.

فقال له ﷺ: **«لا عليك! ارجع إليه غدًا، وقل له: بأمارة زمرًا زمرًا»**.

فلما أصبح غدا إلىٰ الشيخ وأخبره الخبر.

فقال: صدقت يا بني، وبكىٰ، واستغفر الله مما مضىٰ، وعاهد ألا يأخذ شيئًا ممن يقرأ عليه، وأجازه.

فسئل عن ذلك فقال: كنت ليلة أقرأ فوصلت إلىٰ قوله تعالىٰ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] الآية ... حتىٰ قرأت ﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ فقلت في نفسي أيدخلون الجنة كلهم جملة واحدة، أو كيف؟!

ثم نمت، فرأيته ﷺ وهو يقول: **«زمرًا زمرًا»**.

- صحبة نادرة، وفعل الوشاة:

ذكر الإمام ابن الجزري في جامع أسانيده صحبة نادرة بين الإمامين العالمين المقرئين:

محمد بن أحمد بن جابر الهواري، وأحمد بن يوسف بن مالك.

وذكر أنهما ولدا سنة ثمان وسبعمئة.

وأنهما اتحدا في المحبة والصفاء حتىٰ صارا كنفسٍ واحدة!

لا يمتاز أحدهما عن الآخر في ملبس، ولا مطعم، حتىٰ إن أحدهما لو لبس ثوبًا يلبس الآخر مثله وشكله، ويجلسان للإفادة معًا.

قال أبو الخير: «ورأيت منهما في ذلك ما لم أره ولا سمعته».

وقال السخاوي: «وأخوة هذين الشيخين واتحادهما واتفاقهما في الأخلاق والأقوال والأفعال لم أر مثلها، ولم أسمع بذلك، ولا يملك أحدهما دون أخيه شيئًا، ولا يتخصص عنه بشيء من أمور الدنيا قل أو جل، ولا يلبس أحدهما غير ملبس الآخر، لكل واحد منهما مثل ما لصاحبه، إن فصَّلا ثيابًا فمن نوع واحد،

ولون واحد، لا يمكن أن يغير أحدهما لباسًا دون الآخر، ويأكلان جميعًا، ويرقدان جميعًا في بيت واحد، وأعرضا معًا عن التزوج والتسري رغبة في دوام الصحبة، وخوفا من أسباب الفرقة، وكان معهما مملوك لهما يخدمهما!».

وقد نظم الأول قصيدة بديعة مطلعها:

بطيبة انزل ويمم سيد الأمم ... وانشر له المدح وانثر أطيب الكلم
وابذل موعك واعذل كل مصطبر ... والحق بمن سار والحظ ما علىٰ العلم

وقد شرحها صاحبه الآخر!

* حصول الفرقة:

قال ابن الجزري: «وقد بلغنا وفاة الشيخين المذكورين بعد أن فرق الوشاة بينهما فافترقا:

وكل أخ مفارقه أخوه، لعمر أبيك حتىٰ الفرقدان، رحمهما الله فقد كانا من محاسن الدهر».

٦- «بشاعة الكفر، وسوء حال الكافرين؛ ينبغي أن نركز علىٰ بشاعة الكفر، وأن نوصل للناس مدىٰ السوء الذي يصل إليه الكافر برب العالمين، إن من أسئلة القرآن المجيد، (كيف تكفرون بالله؟ وكنتم أمواتا فأحياكم، ثم يميتكم، ثم يحييكم، ثم إليه ترجعون)، لقد أصبح كثير من أهل الإسلام لا يعي حقيقة الكفر، ولا بشاعته، ولذلك يقع استغراب كثير منهم لمعاني ذم الكفر، وعاقبته التي وردت في الآيات والأحاديث، إن بشاعة الكفران برب العالمين لا تعدلها بشاعة، وإن ابن جدعان لن يدخل الجنة، لأنه لم يقل يومًا (رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين!) ».

٧- يا بني:

- وقال يومًا:

«يا بني: تعوذ بالله من علم لا ينفع، فإن العلم يكون وبالًا علىٰ صاحبه إن هو لم يعمل به،

يا بني: تعوذ بالله أن تكون ممن ركن إلىٰ الذين ظلموا،

يا بني: إن مثل العالم الذي يمشي في ركاب الظالمين، كمن عمد إلىٰ

ثوب أبيض نقي، فوضعه في أنتن ما يكون في الدنيا،

يا بني: لا تأمنن الفتنة علىٰ نفسك، فإنهم أمنوا!

يا بني: خف عذاب الله، ويوم العرض عليه،

يا بني: إن لم تنطق بحق، فاسكت عن الترويج للباطل،

يا بني: إياك أن تمدح ظالمًا، وأن تعينه، فإن من أعان ظالمًا بلي به، وسلطه الله عليه!».

- وقال لي الشيخ يوما:

«واعلم يا بني أنه بقدر نقص وردك من القرآن، تذهب البركة عنك، فإن رمت البركة فتعرض للكتاب، فإنه كلام الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم».

- وسألته: ما الخسران؟

قال: «اعلم أنه مراتب؛

أولاها: أن يخسر الإنسان نفسه،

وثانيها: أن يخسر أهله،

ذلك هو الخسران المبين!

فقلت له: وكيف يخسر الإنسان نفسه؟

فقال: «يا بني إن العبد إذا كان لله = كان الله له، وإذا لم يكن لله = لم يكن الله له،

فكيف تكون نفسه له؟»

- وقرأت عليه ذات مرة من سير الصالحين، وجعلت أعجب من طول صلاتهم، وحسن عبادتهم!

فنظر إلي متبسما، وقال: «أراك تتعجب!».

ثم أردف قائلًا: «يا بني لا تنظر إلىٰ كمال النهاية، ولاحظ نقص البداية، ادرج كما درجوا تصل كما وصلوا!».

- وسألته: أين المنتهىٰ؟

قال: «إلىٰ الله!».

- وسألته: أين الأمل؟

قال: «في الباقيات الصالحات».

- وبادرني مرةً بلا سؤال قائلًا: «لا ترض رتبة الواصفين، واسلك مع السالكين!».

فقلت يا سيدي: أخبرني عنهم!

قال: «إن مثل الواصف كمثل رجل قرأ في الكتب القديمة وصفهم للطريق إلىٰ ديار الأفراح، فأيقن بها وآمن، وعرف الطريق ومسالكه، فجعل يصفه للناس، وهم يظنون من حلاوة وصفه أنه يعرفه معرفة من سلك، فجعلوا يذهبون إليها واحدًا تلو الآخر، والواصف لم يبرح بلاد الأتراح!

وبذلك، قد عرفت السالك، فبضدها تتميز الأشياء».

- وسألته: ما المؤثر؟

قال: «القرآن».

قلت: وما المحل القابل؟

قال: «القلب الحي».

قلت: وما الشرط؟

قال: «الإصغاء».

قلت: وما المانع؟

قال: «اشتغال القلب وذهوله عن معنىٰ الخطاب، وانصرافه عنه إلىٰ شيء آخر».

قلت: وما الأثر؟

قال: «التذكر».

قلت: من أين، سيدي؟

قال: «من قوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾».

- وسألته: ما الغاية الكبرىٰ؟

فأجاب: «﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾».

- وسألته: ما مكابدة القرآن؟

فقال «يا بني: معاناة معانيه إدراكًا لحقائقه لهيبًا يحرق باطن الإثم من نفسك، لأخذ حظك من النور!».

قلت: وما الطريق إليه؟

قال: «تكلفه حتىٰ يصير التكلف طبعًا، فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف، هي النفس ما عودتها تتعود».

- وسألته عن سبب إتقانه للقرآن!

فقال: «يا بني: دع عنك كل شيء، ما حفظنا القرآن إلا في جوف الليل».

٨- «أول طريق التصالح مع القرآن أن تتحايل علىٰ نفسك بالإكثار من تلاوة القرآن، تلاوة لا كالتلاوات السابقة، تلاوة لا تنتظر فيها موعدًا، تلاوة لا تنشغل فيها بغير القرآن، إن القرآن كتاب عزيز لا بد أن تعطيه أنفس ما تملك من أوقات، فأقبل عليه وإياك أن تبخل، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه!

ولا بد أن تتخير أوقات التلاوة، وأجلها وقت اجتماع القلب».

٩- «كثير مما كتب، ويكتب عن تدبر القرآن؛ مكرور لا إبداع فيه!

الإبداع: أن تخوض التجربة!».

١٠- «انظر إلىٰ موسىٰ -صلوات الله وسلامه عليه- رمىٰ الألواح التي فيها كلام الله الذي كتبه بيده فكسرها، وجر بلحية نبي مثله (وهو هارون) ولطم عين ملك الموت ففقأها، وعاتب ربه ليلة الإسراء في محمد ﷺ ورفعه عليه؛ وربه -تعالىٰ- يحتمل له ذلك كله، ويحبه ويكرمه، لأنه قام لله تلك المقامات العظيمة في مقابلة أعدىٰ عدو له، وصدع بأمره، وعالج أمتي القبط وبني إسرائيل أشد المعالجة، فكانت هذه الأمور كالشعرة في البحر.

وانظر إلىٰ يونس بن متىٰ حيث لم يكن له هذه المقامات التي لموسىٰ، غاضب ربه مرة، فأخذه وسجنه في بطن الحوت، ولم يحتمل له ما احتمل لموسىٰ، وفرق بين من إذا أتىٰ بذنب واحد، ولم يكن له من الإحسان والمحاسن

ما يشفع له، وبين من إذا أتىٰ بذنب جاءت محاسنه بكل شفيع، كما قيل:

وإذا الحبيب أتىٰ بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

فالأعمال تشفع لصاحبها عند الله، وتذكر به إذا وقع في الشدائد، (ابن القيم ناقلًا عن الشيخ الإمام) ».

١١- « (فريدريك ديني) وهو كاتب غير مسلم

تذكر «التجربة الرائعة المقلقة» التي يمارسها الإنسان أحيانًا وهو يقرأ القرآن!

عندما يبدأ القارئ في الشعور «بحضور غامض، ومخيف أحيانًا».

فبدلًا من قراءة القرآن، يبدأ القارئ يشعر أن «القرآن هو الذي يقرأ القارئ».

وصدق والله في قوله: «يقرأ القارئ»، ويكشف أغوار نفسه!».

١٢- «حجية فهم السلف للقرآن، وأهميته:

من أهم الأبحاث التي تحدثت حول هذا الجانب، وإقامة الحجية علىٰ عظمة هذا الفهم، وحجيته = الأستاذ الباحث ياسر المطرفي في كتابه المعجب: (العقائدية وأثرها في تفسير النص) ».

١٣- «كلما ازداد (الإنسان) بصيرة بأسرار اللغة، وإحسانًا في تصريف القول، وامتلاكًا لناصية البيان، ازداد بقدر ذلك هضمًا لنفسه، وإنكارًا لقوته، وخضوعًا بكليته أمام أسلوب القرآن، (د. دراز) ».

١٤- «من لم يكابد حقائق القرآن لهيبًا = يحرّق باطن الإثم من نفسه، فلا حظ له من نوره».

١٥- «عن عمرو بن الحارث، عن أبيه: أن أبا بكر الصديق، رحمة الله تعالىٰ عليه حين خطب قال: أيكم يقرأ سورة التوبة؟ قال رجل: أنا، قال: اقرأ، فلما بلغ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة: ٤٠] بكىٰ أبو بكر وقال: أنا والله صاحبه».

١٦- «ليس كل ما يتعسفه بعض المعربين، أو يتكلفه بعض القراء، أو يتأوله بعض أهل الأهواء مما يقتضي وقفا وابتداء ينبغي أن يتعمد الوقف عليه، بل

ينبغي تحري المعنىٰ الأتم والوقف الأوجه،

وذلك نحو الوقف علىٰ ﴿وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ﴾، والابتداء ﴿مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا﴾ علىٰ معنىٰ النداء، (ابن الجزري) ».

١٧- «السور التي كان النبي -صلوات الله وسلامه عليه- يكررها (كالسجدة والإنسان والأعلىٰ والغاشية)، وكذلك التي ثبت عن كثير من السلف تكرارها = من أعظم ما ينبغي علىٰ المسلم أن يعرف معانيها، ويحسن تأملها.

ولو أحسن المؤمن تأمل هذه السور، لوجدها تعالج شيئًا كثيرًا مما يعاني منه في هذه الحياة.

وتأمل -مثلًا- أن سورة الكهف فيها خارطة النجاة من فتن تحدق بالمرأ إن انفك من واحدة وقع في الأخرىٰ، وهي:

١- الفتنة في الدين.

٢- فتنة المال.

٣- فتنة العلم.

٤- فتنة الرياسة ومنها: الشهرة.

فتأملوا يا عباد الله، فإنه من رجا لقاء ربه فعليه أن يعمل عملًا صالحًا ينجيه مع سلامة قلبه من الشرك».

١٨- «أن تُثوِّر القرآن = فهذا من أعظم درجات السالكين، والطريق إلىٰ علم الأولين والآخرين.

أن تَثُورَ عليه، فتترك ثوابته وراءك ظهريًا = فهذا أكبر الخزي والعار».

١٩- «أحبوا القرآن فإن محبته طريق إلىٰ الجنة!

عن أنس بن مالك ﷺ، كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، وكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح: بـ(قل هو الله أحد) حتىٰ يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرىٰ معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه، فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة، ثم لا ترىٰ أنها تجزئك حتىٰ تقرأ بأخرىٰ، فإما تقرأ بها وإما أن تدعها، وتقرأ بأخرىٰ فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه

من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال: **«يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك، وما يحملك علىٰ لزوم هذه السورة في كل ركعة»** فقال: إني أحبها، فقال: **«حبك إياها أدخلك الجنة»»**.

٢٠- «من ادعىٰ فهم أسرار القرآن، ولم يحكم التفسير الظاهر = فهو كمن ادعىٰ البلوغ إلىٰ صدر البيت قبل تجاوز الباب، (الزركشي) ».

٢١- «كل قلب يحتاج إلىٰ تثبيت، ومن أعظم الطرق التي يثبت بها القلب:

١- تلاوة الكتاب، فهمًا وتدبرًا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾، ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

٢- مطالعة القصص، وقصص القرآن خاصة، قال سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾».

٢٢- «من أراد أن يتذكر بالقرآن حقًا، فالطريق الواضح في قوله سبحانه:

إن في ذلك لذكرىٰ:

١- لمن كان له قلب.

٢- أو ألقىٰ السمع.

٣- وهو شهيد.

فإذا قرأت القرآن بقلبك الحي، مع الإصغاء التام، وترك الانشغال، حصلت النعمة الكبرىٰ، والنعيم المقيم، وكتبت في الذاكرين!».

٢٣- «القرآن والعبادة الموسمية بعض الناس يتعامل مع الكتاب العزيز تعاملًا موسميًا، فلا يقترب منه إلا في مواسم الطاعة خاصة (رمضان)، وهؤلاء لن يُحرموا نور الكتاب -بإذن الله الكريم-، لكنهم لن يحصلوا من هذا النور إلا بمقدار القرب من الكتاب.

وصاحب الهمة، طالب النور، لا بد أن يزداد قربه من الكتاب يومًا بعد يوم، وهو بهذا آخذ في الاهتداء بنور الكتاب، دافعٌ للران الموجود علىٰ القلب.

وتذكروا قول ربنا عن الكتاب: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾.

فبقدر قُربك = يكون أَخْذُكَ!»

٢٤- «قال الإمام العلامة، عثمان بن سعيد الملقب بورش أبو سعيد المصري المقرئ:

خرجت من مصر، لأقرأ علىٰ نافع، فلما وصلت إلىٰ المدينة، صرت إلىٰ مسجد نافع، فإذا هو لا يطاق القراءة عليه من كثرتهم، وإنما يقرئ ثلاثين.

فجلست خلف الحلقة، وقلت لإنسان: من أكبر الناس عند نافع؟ فقال لي: كبير الجعفريين، فقلت: فكيف به؟ قال: أنا أجيء معك إلىٰ منزله.

وجئنا إلىٰ منزله، فخرج شيخ فقلت: أنا من مصر، جئت لأقرأ علىٰ نافع، فلم أصل إليه، وأخبرت أنك من أصدق الناس له، وأنا أريد أن تكون الوسيلة إليه، فقال: نعم وكرامة.

وأخذ طيلسانه ومضىٰ معنا إلىٰ نافع، وكان لنافع كنيتان، أبو رويم وأبو عبد الله فبأيهما نودي أجاب، فقال له الجعفري: هذا وسيلتي إليك، جاء من مصر ليس معه تجارة، ولا جاء لحج، إنما جاء للقراءة خاصة.

فقال: ترىٰ ما ألقىٰ من أبناء المهاجرين والأنصار، فقال صديقه: تحتال له، فقال لي نافع: أيمكنك، أن تبيت في المسجد؟ قلت: نعم، فبت في المسجد فلما أن كان الفجر جاء نافع.

فقال ما فعل الغريب: فقلت: ها أنا رحمك الله، قال: أنت أولىٰ بالقراءة، قال: وكنت مع ذلك حسن الصوت، مدادًا به، فاستفتحت فملأ صوتي مسجد رسول الله ﷺ.

فقرأت ثلاثين آية فأشار بيده أن اسكت فسكت، فقام إليه شاب من الحلقة، فقال: يا معلم -أعزك الله-، نحن معك وهذا رجل غريب.

وإنما رحل للقراءة عليك، وقد جعلت له عشرًا وأقتصر علىٰ عشرين فقال: نعم وكرامة فقرأت عشرًا فقام فتىٰ آخر، فقال كقول صاحبه فقرأت عشرًا وقعدت واقتصرت علىٰ عشرين، حتىٰ لم يبق له أحد ممن له قراءة.

فقال لي: اقرأ فأقرأني خمسين آية فما زلت أقرأ عليه خمسين في خمسين حتىٰ قرأت عليه ختمات قبل أن أخرج من المدينة.

ترىٰ كيف كان صوت ورش وهو يقرأ بين يدي نافع، وهو في مسجد سيدنا رسول الله؟!

اللهم ارض عن عبدك عثمان بن سعيد، وارزقنا تلاوة غضة طرية!».

٢٥- «تأمل هذه الآية، وسل الله العافية:

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾.

كم وكم ممن زين له سوء عمله، فقلبت عنده الحقائق، فصارت الشمس مظلمة، والعذب ملح أجاج، وصرت عندما تخاطبه كأنك تنفخ في غير فحم، وكأنك تقدح بزند مصلد، وهذا لعمري هو الداء العياء، نسأل الله العافية!».

٢٦- «زيت القرآن براقٌ قابل للاشتعال، فإن اشتعل= فالخير لك! فقط: افرك الحجر، أو اقدح الكبريت».

٢٧- «من الأعمال التي تجعلك أقرب للقرآن:

حفظ المفصل، مع حرص علىٰ تفقه في معانيه، وتقليب وتثوير لما تحمله سور هذا الجزء وآياته، وقيام لليل بها، فإن ذلك والله خير عظيم».

٢٨- «ليس التجويد بتمضيغ اللسان، ولا بتقعير الفم، ولا بتعويج الفك، ولا بترعيد الصوت، ولا بتمطيط الشد، ولا بتقطيع المد، ولا بتطنين الغنات، ولا بحصرمة الراءات، قراءة تنفر عنها الطباع، وتمجها القلوب والأسماع.

بل القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة، التي لا مضغ فيها ولا لوك، ولا تعسف ولا تكلف، ولا تصنع ولا تنطع، لا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء، (أبو الخير ابن الجزري) ».

٢٩- «هناك عدة ختمات يمكن للمرء أن ينجزها فيما تبقىٰ من شهر رمضان، وهي لا تحتاج إلىٰ وقت طويل ومنها:

١- ختمة الغريب، بأن يمر القارئ علىٰ القرآن كاملًا مع ملاحظة الكلمات الغريبة ومراجعتها في كتاب من كتب غريب القرآن، ككتاب د.محمد الخضيري: السراج في بيان غريب القرآن.

٢- ختمة التعرف إلىٰ سور المصحف الشريف، بأن يعرف القارئ أسماء السورة، وفضلها، وموضوعاتها، ومقاصدها، وأقترح كتاب الشيخ محمد نصيف، أو كتاب الدكتورة منيرة الدوسري: أسماء سور القرآن وفضائلها.

٣- ختمة هدايات الأجزاء، وتهدف للتعرف علىٰ هدايات الأجزاء المتلوة في صلاة القيام، وينشرها مركز آيات علىٰ صفحته بالفيسبوك:

https://goo.gl/34eNc7

٤- ختمة المعنىٰ الإجمالي للسور التي تكرر قراءتها: (الفاتحة - الكهف - السجدة - الإنسان - ق - القمر - الملك - الأعلىٰ - الغاشية - الكافرون - الإخلاص - المعوذتين).

٥- ختمة المعنىٰ الإجمالي للسور التي وردت في شأنها فضائل خاصة، ويمكن معرفتها من كتاب: (الصحيح في فضائل القرآن وسوره وآياته)، د. فاروق حمادة.

وهذه الختمات لا تستغرق وقتًا طويلًا، ويمكن للمرء أن يختم كتابًا من كتب التفسير -لو أراد- في باقي الشهر الكريم، وقد سبق اقتراح بعض الكتب».

٣٠- «في قصة نبي الله ورسوله نوح عبر كثيرة، وإحدىٰ هذه العبر، تلك النفس العظيمة التي كان يحملها نوح صلوات الله -وسلامه عليه-؛ لقد ابتلي نوح في محيطه الداخلي بامرأة كافرة، وولد غير مطيع كافر هو الآخر!

نبي تكفر امرأته وولده، لك أن تتصور ما يعانيه، وهو أعظم موحد في الأرض آنذاك.

ومع هذا الصراع ظل يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، ليلًا ونهارًا، سرا وجهارا، لم يفتر عن دعوته قط، لم يتعلل بمشاكله الخاصة، بل ظل ساعيا نحو الهدف الذي بعث لتحقيقه.

صلّ اللهم وسلم علىٰ عبدك ورسولك نوح، وعلىٰ نبينا محمد وسائر الأنبياء والمرسلين!».

٣١- «الجهول الذي ادعي أن من حق أي أحد أن يكتب في تفسير كلام الله تعالىٰ، وأنه وجهة نظر للمفسر فحسب، وأن عمر هذه الكتب كذا وكذا من

السنين . . . إلىٰ آخر هذا الجهل المركب، والخبل المفضوح.

يقال لمن اغتر بكلامه:

- إن تأويل كلام الله تعالىٰ لا يكون بالظنون ولا بالتخرصات.

- بل للتفسير آلة كغيره من العلوم، من لم يحصلها لا يجوز -حرمةً شرعية- لأن يقدم علىٰ كتاب الله بالتأويل والبيان.

- وقد وضع لبنة هذه الأصول الرسول ﷺ، فأصل تفسير القرآن باللغة، وحجيتها، وحجية كلام الصحابة وفهمهم، وكون التفسير النبوي أحد المصادر، وأنه -صلوات الله وسلامه عليه- المفسر الأول . . . . إلىٰ غير ذلك = يمكننا أن نأخذه من حديث واحد، وهو: إشكال الصحابة لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾.

- ودرج الصحابة علىٰ هذه الأصول، وخطأوا من تأول القرآن بغير أصل كما في تخطئتهم الخوارج، والرافضة، والقدرية، وسائر أهل الضلالات في عصرهم.

- وبعد ذلك اتخذ أهل التفسير من الأئمة المجتهدين الناقدين هذه الأصول واستبطنوها في كتبهم، وتوالىٰ العلماء علىٰ نقد كل تفسير يخرج عن الأصول المقررة، ولو كان من إمام كما فعلوا مع بعض تأويلات مجاهد مع إمامته وفضله.

- والمشكلة: أننا لم ننعم النظر في كيفية استخراج المعاني من الآيات، وغر هؤلاء ما يسمونه تدبرًا وما هو إلا أماني، وهذا الجهول له من الطوام والبدع في فهم القرآن ما يضحك منه صبيان الكتاتيب.

والجواب عن هذا الخبل صعبٌ إذ من المشكلات توضيح الواضحات، ونجانا الله من زمان أحوجنا إلىٰ مثل هذا خوفًا من أن يلتبس علىٰ الناس دينهم، نجانا الله من الفتن وقطع دابر الذين ظلموا».

٣٢- «للقرآن المجيد أثر عظيم في تثبيت القلب أيام المحن، وأوقات نزول البلايا والفتن،

بل إن هذا من مقاصده، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ولا يظنن ظان أن العودة إلىٰ القرآن، وتربية النفس علىٰ تلقي آياته نوع من الهروب من الواقع كما حدثني بعض الأفاضل!

بل إن كثيرًا من الضعف والوهن الذي يدب في النفوس سببه الرئيس ضعف الإيمان.

ووصل الحال ببعض الناس إلىٰ التشكيك في القدر، وظن الظنون بالرب -تعالىٰ-، ولو أنهم أقبلوا علىٰ كتاب ربهم لكان شفاءًا لنفوسهم، وطهرة لقلوبهم!

ولعلك تتأمل سورة الأحزاب -مثلًا-، واجتماع الكفار علىٰ رسول الله وأصحابه، حتىٰ وصفهم الله بألفاظ جليلة تبعث في النفس ما كان عليه الأصحاب من زلزلة ووهن، ثم تأمل في تخذيل المنافقين لإخوانهم من أهل الإيمان، ثم تأمل في الذين آمنوا، وبم اتصفوا لينصرهم الله علىٰ الأحزاب!

إنك إن فعلت فستجد خيرًا كثيرًا!».

٣٣- «والله -تعالىٰ- يبتلي العبد ليلجأ إليه، ويتمسك بحباله، فأي عبد ذلك الذي لا يرىٰ لطفه في بلائه، وحكمته في مصابه، والدنيا مطبوعة علىٰ الكبد، وليس فيها مستراح لمؤمن، والحزن كل الحزن يذهب في الجنة، والله غفور شكور!

وكلما ازداد (العبد) علما وإيمانا = ظهر له من حكمة الله ورحمته ما يبهر عقله، ويبين له تصديق ما أخبر الله به في كتابه».

٣٤- «من أعظم ما يستفاد من كتب فضائل القرآن، هو إدمان النظر في السور والآيات التي لها فضائل مخصوصة، وبالذات تلك السور التي كان النبي ﷺ يكررها في الصلوات والمجامع،

وعلينا أن نقرب معاني تلك السور للناس، ونحثهم علىٰ تلاوتها تلاوة حقيقية».

٣٥- «الترياق المجرب!

كان صالح المري إذا قص (أي: وعظ) قال: هات جونة المسك والترياق المجرب -يعني القرآن-

فلا يزال يقرأ ويدعو ويبكي حتىٰ ينصرف!».

٣٦- «يبعث القرآن في النفوس ما يعجز الإنسان عن الإحاطة به، وما ذلك إلا أنه روح يغذي الأرواح وتلك لغة قد يعجز البيان عن إدراك أسرارها!

أحيانًا يستوقفك قارئ ما، في آية قد تمر عليها وتكر، لكنها تصادف منك محلًا خاليًا فتدهشك، وتحدث في نفسك وجدًا، وأحوالًا، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾».

٣٧- «يشكو كثير من الناس في شهر رمضان من عدم استطاعته الإقبال علىٰ القرآن، وما ذلك إلا من هجران طويل سبقه، والقرآن كتاب عزيز، يحتاج إلىٰ طول مصاحبة، وحسن مراس!

وهو أشد تفصيا من الإبل في عقلها.

فأقبل علىٰ القرآن تصالحًا، ودرسًا، عسىٰ أن يفتح الكريم أبوابه للطالبين».

٣٨- «للبخاري ﷺ في تفسيره لطائف وفرائد، ومن ذلك أني لما قرأت قوله في قول الله تعالىٰ: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾، حيث قال: لا يَمَسُّهُ لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن، ولا يحمله بحقه إلا المؤمن لقوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥].

وهو ضرب من التفسير الإشاري (كما يسمىٰ اصطلاحًا)، وجهه: أن الآية دالة أنه لا يمس المصحف إلا طاهر، فكذلك لا يجد طعم القرآن ولا الانتفاع به إلا مؤمن به، فالقلوب النجسة ممنوعة من فهم القرآن مصروفة عنه!

(والقرآن جاء من عند الله، والذي جاء به روح مطهرة، فما للأرواح الخبيثة عليه سبيل!).

هناك معانٍ تنبعث في النفس جراء تلاوة الكتاب= يعجز اللسان عن التعبير عنها، والبيان عن الإحاطة بها، والقلم عن رقمها!».

٣٩- «من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصًا واستدلالًا، ووفقه الله للقول والعمل بما عِلم منه؛ فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرِّيَب، ونَوَّرت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة.

فنسأل اللهَ المبتدئَ لنا بنعمه قبل استحقاقها، المديمَها علينا مع تقصيرنا في الإتيان إلىٰ ما أوجب به من شكره بها، الجاعِلَنَا في خير أمة أخرجت للناس: أن يرزقنا فهمًا في كتابه، ثم سنة نبيه، وقولًا وعملًا يؤدي به عنا حقه، ويوجب لنا نافلة مزيدة.

فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليلُ علىٰ سبيل الهدىٰ فيها.

(الإمام الشافعي رضي الله عنه)».

٤٠- «وفي الحديث: (أن تجعل القرآن ربيع قلبي).

يقول الطيبي: كما أن الربيع زمان إظهار آثار رحمة الله -تعالي-، وإحياء الأرض بعد موتها، كذلك القرآن يظهر منه تباشير لطف الله من الإيمان والمعارف، وتزول به ظلمات الكفر والجهالة والهموم».



إن ثمار التجهيل التي تمارس على الأمة الإسلامية آتت أكلها، وأينعت ثمارها، وقد نال أعظم كتاب في الكون، وأشرف دستور للعالمين، القرآن الكريم، نصيبه من هذا التجهيل. فصرنا نرى ونسمع من لا يعرف عن القرآن إلا اسمه، وعن المصحف إلا رسمه، لا يعرف شيئًا مما يتعلق بهذا الكتاب المجيد إلا معلومة شاردة، أو معرفة ناقصة.

وفي وسط هذا الظلام ظل أهل الحق وطلابه يسألون، وللمعرفة عن القرآن يتعطشون، ولأجل هؤلاء جاء هذا الكتاب . حاولت عبر هذا الكتاب أن أشارك في تقريب القارئ من المشروع الحقيقي للأمة، مشروع (تلاوة القرآن)، تتميمًا لمقصد البعثة المحمدية، {وأن أتلو القرآن} !




